صحابة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم

(مواقف ومواعظ)

-١-

عبد العزيز الشناوي

عبد العزيز الشناوي

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(مواقف ومواعظ)

(١)

عمير بن وهب — صهيب بن سنان

قتادة بن النعمان — أبو سفيان بن الحارث

جعفر بن أبي طالب — سراقة بن مالك

الحارث بن هشام

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسني - القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت ٧٦٠٥٢٣ - ٧٥٠١٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

« محمد رسول الله ٠ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ٠ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » ٠

(صدق الله العظيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ... » .
(التوبة آية : ١٠٠)

هذا الرضى المتبادل بين الله سبحانه وبين طائفة من عباده هو لون رفيع من التكريم لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : المبلغون لرسالته والحافظون لعهده والآخذون بسنته والمقتدون بأمره والمجاهدون تحت رايته . والورثة العدول لعلمه صلى الله عليه وسلم ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين . حتى قال فيهم امام أهل الشام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزعى (م١٥٧هـ) :

« العلم ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يجىء عنهم فلبس بعلم » .

انهم خير القرون وأفضل الأمم والصفوة المختارة والكوكبة المضيئة تربوا فى مدرسة النبوة ونهلوا من وردها العذب واستظلوا بدومتها المباركة .

كتـائب الحق جلوا عن موازنة فـلا تقيسن أملاك الورى بهم

فى قصصهم عبرة وذكرى وفى صحبتهم دروس وعظـات لا تمل صحبتهم ولا يفنى خيرهم ولا يبلى جديدهم .

ويسر دار الفكر العربى أن تقدم لقارئها الكريم هذه المجموعة عرفانا بفضل السادة النجب من الصحابة وتأسيا بجهادهم نقدمها الى شبابنا المسلم فى بحثه عن النماذج والمثل وفى شوقه للمعرفة .

كما نقدمها حبا لهذا النفر الذين هدى الله بهم أجيالا وأعز بهم دينا ونصر بهم أمة رهبان الليل وليوث النهار قرآنهم فى صـدورهم وسيوفهم فى أيدهم وسيماهم فى وجوههم . أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين رضى الله عنهم ورضـوا عنـه .

وسوف تصدر هذه المجموعة فى أربعة أجزاء ، بين يديك منها الجزء الأول .

أما مؤلف هذه المجموعة فهو الأستاذ/عبد العزيز الشناوى عضو اتحـاد الكتاب وصاحب النشـاط الأدبى فى الصحافة والمجلات العربيـة تلقى بعض الدراسات التربوية والأدبية بعد حصوله على بكالوريوس الزراعة ١٩٦٤ ، وله قراءاته الدينية الواسعة من ثمارها الطيبة هذه المجموعة .

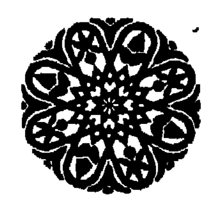
وبعـد أخى القارىء ..

نرجو أن نكون قد سددنا ثغرا فى المكتبة الاسلامية بهذا الكتاب وأن نكون قد وفقنا فيما قصدنا اليه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت .

وما توفيقى الا بالله ..

وهو سبحانه من وراء القصد ،،

النـاشـــر



عمير بن وهب

صار سيفا على المشركين بعد أن كان سيفا على المسلمين

أرخي الليل شعره الفاحم على وجه النهار . فجلس عمير بن وهب ليستريح، وترك فرسه على مقربة منه .نظر الى يثرب . هناك كبده فى قبضة محمد — صلى الله عليه وسلم — أسيرا . وتحسس سيفه الذى جاء معقودا على شر طوية وشر جريمـــة .

عاد خياله الى مكة .. كان جالسا بجوار الكعبة الى رهط من قريش بينهم عبد الله بن أبى ربيعة وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى الحكم بن هشام .

قال صفوان بن أمية : يا معشر قريش لا تصدقوا الخبر .

قال رجال قريش : كيف لا نصدق وكلما قدم أحد من بدر أخبرنا بمصابنا ؟

قام عمير بن وهب وسار نحو الحجر .. ثم بكى فلحق به صفوان بن أمية .. وسأله : ما يبكيك يا عمير ؟

قال عمير بن وهب : واللات لقد أبصرتهم يهبرون أباك وأخاك عليا بأسيافهم هبرا كما أبصرت رأس أبى الحكم تحتز بسيف معوذ . و .. ليت قريشا أخذت برأيى ورجعنا .

قال صفوان فى حزن : واللات والعزى ما فى العيش بعدهم من خير .

قال عمير : صدقت .. أما واللات لولا دين على لا أملك قضاءه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى .. لركبت الى محمد حتى أقتله فان لى عندهم علة ابنى وهب أسير فى أيديهم .

قال صفوان بن أمية : أحقا ما تقول ؟

قال عمير : نعم •

قال صفوان فى لهفة : على دينك أنا أقضيه عنك • وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شىء ويعجز عنهم •

قال عمير بن وهب : قد قبلت فاكتم عني شأني وشأنك •

قال صفوان : هذا سيف اشتريته بألف وشحذته بألف •

أخذ عمير السيف •• ثم ركب فرسه وانطلق الى المدينة • وقبل أن يغادر مكة ترامى الى سمعه نواح امرأة •• فنهرها أبو سفيان بن حرب :

ـ صه يا أم عزيز •• ان النحيب على القتلى لم يحن بعد •

قالت المرأة : الى متى ؟

قال أبو سفيان : لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشتموا بنا ولا نبعث فى أسرانا حتى نستأنس بهم ولا يأرب علينا محمد وأصحابه فى الفداء •

رفع عمير اداوته الى فمه • لم يعد الماء يروى الظمأ ؟ كيف يطفىء النار التى بين ضلوعه •• !

عاد يتحسس سيفه • لن يروى ظمأه الا هذا السيف • ولن يطفىء النار التى تحرق ضلوعه سواه •• !

تذكر يوم بدر •• كان واحدا من قادة قريش الذين حملوا سيوفهم ليجهزوا على الاسلام وكان حديد البصر محكم التقدير فند به قومه ليستطلع لهم عدد المسلمين الذين خرجوا مع محمد ﷺ للقائهم ••

فانطلق بفرسه وصال حول معسكر المسلمين •• ثم رجع الى قومه •• وقال لهم : انهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا •

قالوا : هل وراءهم كمين أو مدد ؟

قال عمير : أمهلونى حتى أنظر •

ثم ذهب الى الوادي •• ونظر • فلم ير شيئا فرجع اليهم •

قالوا : ماذا رأيت يا عمير ؟

قال : ما رأيت شيئا •• ولكن يا معشر قريش ••

قالوا : ماذا تريد أن تقول يا عمير ؟

قال : لقد رأيت البلايا نحمل المنايا ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعى لا يريدون أن ينقلبوا الى أهليهم • والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك •• فانظروا رأيكم ؟

تهلل وجه حكيم بن حزام •• وقال :

ـ صدقت والله •• يا عمير •

فقال النضر بن الحارث فى غضب :

ـ أنت تكره حرب زوج عمتك خديجة بنت خويلد •• ولقد خرجت كارها لتنقذ نفسك من تقريع أبى الحكم بن هشام •

مشى حكيم بن حزام فى الناس حتى أتى عتبة بن ربيعة •• فقال :

ـ يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها •هل لك الى أن لا تزال تذكر فيها الى آخر الدهر ؟

قال عتبة : وما ذاك يا حكيم ؟

قال حكيم : ترجع بالناس •

فقام عتبة خطيبا : يا معشر قريش • انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا • والله لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته • ارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان أصابوه فذاك الذى أردتم • وان كان غير ذلك أكفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون • يا قوم اعصبوها اليوم برأسى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون أنى لست بأجبنكم •

وتأثر بقوله نفر من زعمـاء قريش وكادوا يجمعون رجالهم ويعـودون الى مكة بغير قتال •• لولا أبو الحكم الذى أفسد عليهم رأيهم وأضرم فى نفوسهم نار الحقد ونار الحرب •• التى كان هو أول قتلاها •

أعاد عمير اداوته الى كتفه • ثم ركب فرسه ••

كان أعلم الناس بالعداوة التى بين الأوس والخزرج • كيف طهر محمد ﷺ قلوب أقوام تنبض بالضغينة والثأر ؟ كيف صهرهم فى بوتقة واحدة فأصبحوا أنصارا له لا فرق بين خزرجى وأوسى ؟ لا يستطيع أن يفعل ذلك الا ساحر •• أو كاهن •• حقا ان محمدا لكاهن •••!

ربط عمير فرسه بباب المسجد •• فنهض عمر بن الخطاب من بين أصحابه ••• وقال :

ــ هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب جاء متوشحا بسيفه •• والله ما جا الا لشر فهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر •

قال عمير : أريد محمدا •
قال عمر : لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله ﷺ •

ودخل عمر على محمد ﷺ •• ثم عاد •• وقال لأصحابه : ادخلوا على رسول الله فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون •!

أقبل على بن أبى طالب •• فقال : يا أبا حفص •• ان رسول الله يقول : دع عمير بن وهب يدخل بمفرده •

تهللت أسارير وجهه • لقد استجابت الآلهة لدعائه • ها هى الفرصة التى ينتظرها • لن يمنعه أحد من السيف الذى اشتراه صفوان بألف وشحذه بألف ••!

رأى بعينى خياله صفوان بن أمية يمشى فى شوارع مكة مختالا ويغشى مجالسها وندواتها فرحا محبورا يقول :

« أبشروا بواقعة تنسيكم وقعة بدر » •
فيقولون : « ما هى ؟ » •
يقول صفوان : « لقد حدث بالمدينة أمر عظيم » •
دنا عمير من محمد ﷺ •• ثم قال : حيتك الآلهة •• يا محمد •

قال محمد ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير •• بالسلام •• تحية أهل الجنة •

قال عمير : أما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد •
قال محمد ﷺ : فما جاء بك يا عمير ؟
قال عمير : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا اليه •
قال محمد ــ ﷺ ــ : فما بال السيف فى عنقك ؟

قال عمير : قبحها الله من سيوف •• وهل أغنت عنا شيئا ؟
قال محمد ـ ﷺ ـ : أصدقنى يا عمير •• ما الذى جئت له ؟
قال عمير : ما جئت الا لذلك •

قال محمد ـ ﷺ ـ : كذبت •• فقد قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش •• ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له •• والله حائل بينك وبين ذلك •

جحظت عينا عمير وفغر فاه •• كيف عرف محمد ﷺ ذلك ؟ لم يسمع أحد حوارك مع صفوان • لم يسبقك أحد الى المدينة •• ووشى بك ••؟ صفوان على ثقة أنك ستقتل محمدا ﷺ •• بل حقده يؤكد له أن الاغتيال قد وقع • وينتظر الآن البشرى التى ستشفى غليله •••! من الذى أخبر محمدا ﷺ •• اذن ؟ أأطلعه الله على ما دار بينك وبين صفوان فى مكة •••!

وجد يده تمتد نحو محمد ﷺ •• مبايعا • ناطقا بشهادة الحق ؟

ـ أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله • هذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان بن أمية •• فوالله ما أنبأك به الا الخبير العليم والحمد لله الذى هدانى للاسلام •

أخذ رسول الله ﷺ بيده •• نظر نحو أصحابه وقال :
ـ فقهوا أخاكم فى الدين وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره •

قال عمر بن الخطاب : والذى نفسى بيده الخنزير كان أحب الى من عمير بن وهب حين طلع علينا وربط فرسه بباب المسجد ولهو الآن أحب الى من بعض ولدى •

قال عمير : يا رسول الله انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الأذى على دين الحق •• وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم الى الله تعالى والى رسوله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم وأصبحت حربا عليهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم •

فأذن له رسول الله ﷺ •

وعاد عمير بن وهب الى مكة شاهرا سيفه الذى اشتراه صفوان بن أمية بألف وشحذه بألف •



سابق الروم الى الاسلام

رمى صهيب بن سنان ببصره الى بطن الوادى • وسأل نفسه :

لماذا لم يأت رجال قريش ؟ عادوا الى مكة ؟ ضلوا الطريق ؟ لو رأوه فلن يستطيع أحد منهم الوصول الى مكانه • ولكنهم لن يتركوه ليلحق برسول الله ﷺ •• !

اشتدت عداوة كفار قريش ضراوة • واستمروا فى ايذاء المسلمين لما أيقنوا أن النبى عليه الصلاة والسلام قد بايع الأوس والخزرج على أن يمنعوه فيما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنهم قد قبلوه على مصيبه الأموال وقتل الأشراف • فجاء المسلمون الى رسول الله ﷺ يشكون ما يلقون من اضطهاد •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها •

وكان ذلك أمرا لمن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى يثرب والهجرة اليها • فهاجر أبو سلمة •• ثم تسلل فى هجعة الليل عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حتمة • ثم خرج عبد الله بن جحش بأهله وبأخيه عبد بن جحش وكان ضرير البصر • ووضحت لقريش خطورة الأمر •

فقال أبو جهل : ارقبوا أتباع محمد وامنعوهم من الخروج الى يثرب حتى لا يشتد ساعد الاسلام هناك ويصبح خطرا على تجارتنا •

قال أمية بن خلف : تجارتنا وقوافلنا الى الشام ليس لها سبيل الا عن طريق يثرب • فمن يقبل أن يصبح فى قبضة محمد شريان حياتنا ؟

كان المسلمون يخرجون جماعات • فلما راحت قريش ترصد طريق يثرب أخذوا ينسلون آحادا • وتقلد عمر بن الخطاب بسـيفه وتنكب قوسه انتضى فى يديه أسهما وعلق حربته الصغيرة عند خاصرته • ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا •• ثم أتى المقام فصلى ركعتين • ورسول الله ﷺ فى الحرم ومعه أبو بكر وعلى بن أبى طالب وصهيب بن سـنان يرقبون عمر بن الخطاب فى قلق • ولكن عمر بن الخطاب قد أبى أن يهاجر مختفيا •

قال عمر بأعلى صوته : شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس • من أراد أن تثكله أمه أو يوتم ولده أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى •

وسار عمر بن الخطاب •• فلم يتبعه أحد • فأشرق وجه النبى عليـه الصلاة والسلام •

وجاء أبو بكر الصديق يستأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة •• فقال له :
ــ لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا •

وطمع أبو بكر بأن النبى عليه الصلاة والسلام انما يعنى نفسه • فابتاع راحلتين وحبسهما فى داره يعلفهما اعدادا لذلك • وذهب صهيب بن سنان الى رسول الله ﷺ ليستأذن فى الهجرة • فوعده النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر الصـديق بالهجرة معهما وأن يكـون ثالث ثلاثة فانشرح صـدره وغمـرته نشوة الفرحة •

ورأت قريش أن رسول الله ﷺ صار له شيعة وأصحاب من غيرهم • فقال أبو جهل لأبى سفيان بن حرب :

ــ يا أبا حنظلة ان أصحاب محمد يفرون الى يثرب •
فقال أبو سفيان : دعهم يفرون الى يثرب •
تساءل أبو جهل : كيف ؟
قال أبو سفيان : لكى يبقى محمد وحده فيسهل علينا قتله •

واجتمع سـادة قريش فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله ﷺ • فوقف على باب دار الندوة شيخ جليل عليه كساء غليظ مربع •• فقال أشراف قريش : من الشيخ ؟

قال : شيخ من نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ألا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا : أجل فادخل •

فدخل معهم .

قال زمعة بن الأسود : ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم غانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا .

فتشاوروا ...

قال أمية بن خلف : احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله : زهير بن أبى سلمى والنابغة الذبيانى ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم .

فقال الشيخ النجدى :

ــ لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هــذا برأى فانظروا فى غيره .

فتشاوروا .. ثم قال أبو الأسود ربيعة بن عامر :

ــ نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع . اذا غاب عنا وفرغنا منه . فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت .

فقال الشيخ النجدى :

ــ لا والله ما هــذا برأى . ألم تروا حسن حديثه ؟ وحلاوة منطقــه ؟ وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير اليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . أديروا فيه رأيا غير هذا .

فقال أبو جهل :

ــ والله ان لى رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ..

قال حكيم بن حزام وزمعة بن الأسود وجبير بن مطعم بن عدى :

ــ وما هو يا أبا الحكم ؟

قال أبو جهل : أن نأخذ من كل قبيلة فتى شــابا جليدا نسيبا وسيطا ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدون اليه فيضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه . فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم

يقـدر بنو عبـد مناف على حرب قومهم جميعا فرضـوا بالعقل (الدية) فعقلناه لهم .

قال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل .. هذا الرأى لا أرى غيره .
فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وأخبره بأمرهم . ثم قال له :
ـ لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه .

تساءل صهيب بن سنان : يا رسول الله .. من الشيخ النجدى الذى ..؟
تبسم النبى عليه الصلاة والسلام وقال :
ـ انه ابليس جاءهم فى هيئة شيخ جليل ..
أناخ صهيب ناقته خلف صخرة كبيرة .

قال أبو جهل لما دخل بيت رسول الله ﷺ ووجد على بن أبى طالب نائما على فراشه :

ـ أين صاحبك ؟
قال على : لا أدرى .
فاندفع عتبة بن ربيعة نحو على مهددا بقتله .. فقال على :
ـ متى كان لك سيف ترفعه فى وجهى يا عتبة ؟
فمنع حكيم بن حزام عتبة وقال :

ـ لو قتلته يا أبا الوليـد فسيأتى العباس بن عبـد المطلب وبنو هاشم ليأخذوا بثأره .

فصاح أبو جهل : دعوا عليا الآن .. اجعلوا كل همكم البحث عن محمد .

فراح أشراف قريش يتميزون غيظا . وكاد يجن جنونهم . وغدوا يطلبون رسول الله ﷺ فى دور بنى هاشم ودور تابعيه بأعلى مكة وأسفلها . وأتى نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبى بكر . فخرجت اليهم أسماء ..

فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟
قالت أسماء : لا أدرى والله أين أبى ؟

فرفع أبو جهل يده ولطم خدها لطمة طرح منها قرطها .. ثم قال لمن معه :
ـ أخشى أن يكون محمد قد فر الى يثرب .

وبعثوا القافلة فى كل مكان يقتفون أثره ..

وقفت الخيـل ببطن الوادى . تذكر صهيب يوم أن فكر فى الذهاب الى محمد بن عبد الله ﷺ قابل عمار بن ياسر عند باب الأرقم بن أبى الأرقم . فسأل عمارا : ماذا تريد ؟

قال عمار :

ـ وماذا تريد أنت ؟

قال صهيب : أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه .

قال عمار بن ياسر : وأنا أريد ذلك .

اشرأبت أعناق رجال قريش . وأشار أبو جهل بسيفه .. وقال :

ـ أين اختفى ؟

قال عكرمة بن أبى جهل :

ـ لم يبتعد بناقته عن هذا المكان .

لو تتطاول عنقه قليلا لرآه خلف الصخرة . حينما عبر صهيب الباب الخشبى لدار الأرقم بن أبى الأرقم لم يكن يعنى مجرد أن يخطو خطوات عتبة داره التى لا تزيد عرضها عن قدم واحدة . بل كان يعنى تخطى حدود عالم جديد . ولما أعلن مبايعتـه لرسول الله ﷺ ونطق بشهادة الحق . وضع النبى عليه الصـلاة والسلام يده على كتف صهيب .. وقال : صهيب سابق الروم .

لم تسعه الدنيا من فرط الفرحة . يومها . ولكن متى ينتشر الاسـلام فى أقطار الروم ؟ وعدهم رسول الله ﷺ ببلاد فارس وأقطار الروم .. ولا بد أن هذا اليوم آت لا ريب فيه . لو عرف الجميع أصل صهيب بن سنان ؟ انه عربى الأصل وان قيل له الرومى . كان أبوه من أشراف العرب فى الجاهلية وكان واليا على البصرة من جهة كسرى . وكانت منازل قومه فى أرض الموصل . وهناك ولد فى قرية الثنى على شاطىء الفرات . ثم أغار الروم عليها وأخذوه أسـيرا وهو صغير . ونشأ بينهم فأصابت لسانه لكنة منهم . ثم باعوه بعد ذلك . ثم اشتراه عبد الله بن جدعان فى مكة . وبعد حين أعتقه . فانشغل بالتجارة . وكان ماهرا . وكان من أرمى العرب سهما .

جاءه صوت أبى جهل متوعدا :

ـ أدركناك يا صهيب بن سنان . فان لم تعد معنا ..

سحب صهيب سهما من كنانته . وقال : لن أعود الى مكة .

قال عكرمة بن أبى جهل : لن نمكنك من أن تلحق بأصحابك •
قال صهيب :

ـ يا معشر قريش • لقد علمتم أنى أمهركم رميا • وأيم الله لا تصلون الى حتى أرميكم بآخر سهم فى كنانتى ولا أدع رجلا منكم يمر أمامى حتى يستقر سهم فى صدره • ثم آخذ بكم بسيفى حتى لا يبقى منه شىء •

ارتفعت أصوات رجال قريش : سنقدم اليك •
قال صهيب : أقدموا ان شئتم •
ولم يتقدم أحد •
قال عكرمة بن أبى جهل :

ـ يا صهيب •• جئتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت بيننا ما بلغت • والآن تريد أن تخرج بمالك ؟

قال صهيب : لم لا ؟
قال أبو جهل : واللات والعزى لن يكون هذا أبدا •

قال صهيب : تعلمون أننى كنت مولى عبد الله بن جدعان • وقد أعجب بأمانتى وذكائى واخلاصى فأعتقنى وهيأ لى فرصة الاتجار معه •

قال أبو جهل : يا صهيب •• اختر بين رحيلك ومالك •

تساءل صهيب :
ـ أرأيتم ان تركت لكم مالى •• خليتم سبيلى ؟
قال أبو جهل : نعم •
قال صهيب : لا أريد مالا •• فانى أتركه لكم •

قال رجال قريش :
ـ أين المال ؟
قال صهيب : تركته بمكة •
قال عكرمة بن أبى جهل : دلنا على مكانه •
قال صهيب : خلف باب دارى •
ضحك أبو جهل •• وقال : مال العبد خير منه •

لماذا لوى عنان فرسه وتبعه رجال قريش ؟ صدقوا قوله ؟ لم يسألوا بينة ؟ يعلمون أنه لا يكذب ؟

انطلق رجال قريش نحو مكة انطلاق الوحوش الضارية الى فريسة بعد جوع طويل • حركت فيهم أواقى الذهب المخبوءة خلف باب داره جوانب الطمع وذهبت بألبابهم ؟

وقف قليلا وقد رآهم بعين خياله يتقاتلون على عرض الدنيا •• ثم انطلق بناقته نحو يثرب وحيداً سعيدا •

عندما يلقى أبا بكر سيقول له :

« وعدتنى بأن نصطحب •• فتركتنى وخرجت ؟ »

ولما يقابل رسول الله ﷺ سيقول له :

« وعدتنى بأن تصاحبنى فانطلقت وتركتنى ولاحقنى رجال قريش فاشتريت نفسى بمالى » •

ولكن ما سر مجىء عبد الله بن أبى بكر منذ أيام فى جوف الليل ؟ جاء ليخبره بهجرة نبى الله عليه الصلاة والسلام ؟ لولا أن كان فى صلاته حينئذ لعرف سر حضور عبد الله بن أبى بكر فى ذلك الوقت • لو انتظر قليلا ••؟

أدرك صهيب بن سنان رسول الله ﷺ فى قباء • فقال له :

ــ ربح البيع صهيب • ربح البيع صهيب • ربح البيع صهيب •

تملكته الدهشة • لقد عرف النبى عليه الصلاة والسلام ما حدث بينه وبين رجال قريش • لكن ما سبقه الى رسول الله ﷺ أحد • من الذى أخبره أن قريشا أخذت ماله و •• ؟ماأخبر رسول الله ﷺ الا جبريل ••!

قال أبو بكر الصديق : ربح بيعك يا صهيب •

قال صهيب : وبيعك يا أبا بكر •• لكن هلا تخبرنى ما ذاك ؟

قال أبو بكر :

ــ أنزل الله سبحانه وتعالى فيك قرآنا •

قال صهيب فى فرحة : ماذا قال العلى العليم ؟

قال أبو بكر : يقول أرحم الراحمين •• **« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد »** •

ارتجف صهيب من شدة الانفعال •• وخر لله ساجدا •



قتادة بن النعمان

أبشر بالجنـــة

مشى رسول الله ﷺ على رجليه يسوى الصفوف ويبوىء أصحابه مقـــاعد للقتال •• وقال : تقدم يا قتادة وتأخر يا قزمان •

تذكر قتادة بن النعمان لما بعثه النبى عليه الصلاة والسلام ليتحسس أخبار قريش • فذهب ثم عاد •• فقال : يا رسول الله لقد نزلت قريش واتباعها احدا •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـــ كم عددهم ؟

قال قتادة : ثلاثة آلاف والخيلَ مائتان والظعن خمس عشرة امرأة •

قال رسول الله لأصحابه :

ـــ أشيروا على ما أصنع ؟

فقالوا : يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الأكلب •

قالت الأنصـــار : يا رسول الله ما غلبنـــا عدو قط أتانا فى ديارنا فكيف وأنت فينا ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لقـــد رأيت والله خيرا • رأيت بقرا لى يذبح ورأيت فى ذباب سيفى تلما ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة • فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها •

فقال عبد الله بن أبى بن سلول :

ـــ يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منـــه فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا •

وحزن عمرو بن الجموح والنعمان بن مالك والحارث بن الصمة وأنس بن النضر وأسيد بن حضير وكعب بن مالك و •• ومن لم يشهدوا بدرا •

فقال النعمان بن مالك :

ــ يا رسول الله لا تحرمنى من الجنة فوالذى بعثك بالحق لأدخلن الجنة •
فقال رسول الله ﷺ : بم ؟

قال النعمان بن مالك : بأنى أشـــهد ألا اله الا الله وأنك رسول الله وأنى لا أفر من الزحف •

قال النبى عليه الصلاة والسلام : صدقت •
ودعا رسول الله بدرعه فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا :
ــ بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحى يأتيه •

فقام اليه أسيد بن حضير وكعب بن مالك وأنس بن النضر والنعمان بن مالك والحارث بن الصمة وعمرو بن الجموح واعتذروا له وقالوا :

ــ اصنع ما رأيت فانا استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد صلى الله عليـــك •

فقال النبى : لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل •

وخرج رسول الله ﷺ الى أحد فى ألف رجل •

دعا النبى عليه الصلاة والسلام بثلاثه أرماح فعقد ثلاثة ألوية فدفع لواء الأوس الى أسيد بن حضير ودفع لواء الخزرج الى الحباب بن المنذر ودفع لواء المهاجرين الى على بن أبى طالب •

ولما انتهى رسول الله ﷺ الى رأس الثنية سمع جلبة خلفه فالتفت وقال :
ــ ما هذه ؟

قال عمرو بن الجموح : هذه حلفاء عبد الله بن أبى سلول من اليهود •
قال النبى : أسلموا ؟
قال كعب بن مالك : لا ••
قال رسول الله ﷺ :
ــ انا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك •
قال عبد الله بن أبى سلول :

ـــ يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟
قال النبى عليه الصلاة والسلام : لا حاجة لنا فيهم .
وردهم ..

ولما بلغ جيش المسلمين الشوط بين المدينة وأحد انخذل عنــه عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الجيش وقال : أطاعهم فخرج وعصانى والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ؟

واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وقتادة بن النعمان .

قال قتادة بن النعمان : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر عدوكم ؟

قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال .
فلما استعصوا عليه وأبو الا الانصراف والرجوع .
قال عبد الله بن عمرو بن حرام :
ـــ أبعدكم الله أعداء الله .
قال رسول الله ﷺ : من يحمل لواء المشركين ؟
قال على بن أبى طالب : عبد الدار .
قال النبى عليه الصلاة والسلام :
ـــ نحن أحق باللواء منهم .. أين مصعب بن عمير ؟
فقال مصعب : هأنذا يا رسول الله .
فقال رسول الله ﷺ :
ـــ خذ اللواء .
فأخذه وتقدم صفوف المسلمين .

وأمر رسول الله ﷺ على الرماة عبــد الله بن جبــير وكانوا خمسين رجلا وقال لهم :

ـــ انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا واثبت مكانك ان كان لنا أو علينا . ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا .

ارتفع صوت أبى سفيان بن حرب :
ـ يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف عنكم .
فشتمه الأنصار ولعنوه أشد اللعن .

وخرج من قريش رجل على بعيره ودعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير بن العوام واستوى معه على البعير .. ثم ضربه بسيفه فقتله . فكبر المسلمون .

وقال رسول الله ﷺ :
ـ لكل نبى حوارى وان حوارى الزبير .
ثم التفت حوله وقال : لو لم يبرز اليه الزبير لبرزت اليه .

وتقدم طلحة بن عثمان وبيده لواء قريش فقال :

ـ يا معشر أصحاب محمد انكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة . فهل منكم أحد يعجله الله بسيفى الى الجنة أو يعجلنى بسيفه الى النار ؟

فقام اليه على بى أبن طالب فقال :

ـ والذى نفسى بيده لا أفارقك حتى أعجلك بسيفى الى النار أو تعجلنى بسيفك الى الجنة .

فضربه على فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال طلحة :
ـ أنشدك الله والرحم يا ابن العم .
فتركه فكبر رسول الله وقال لعلى : ما منعك أن تجهز عليه ؟

قال على : ان ابنى عمى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييت منه ولم أجهز عليه .

وشد أصحاب رسول الله ﷺ على المشركين فجعلوا يضربون وجوههم وهم ينادون بشعارهم : أمت .. أمت .

وحمل لواء قريش بعد طلحة أخوه عثمان فقال :

ان على رب اللواء حقا   أن تخضب الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى بدت رئته فرجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج •

والتقط لواء المشركين أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد • فحمل عليه سعد بن أبى وقاص فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى فضربه سعد على يده اليسرى فقطعها فأخذ اللواء بذراعه وضمه الى صدره وحنى عليه فأدخل سعد سية القوس بين الدرع والمغفر فاقتلعه ثم ضرب سعيدا بسيفه فقتله • وأخذ يسلب درعه فنهض اليه نفر من قريش فمنعوه سلبه • وكان سلبه أجود سلب رجل من قريش درع فضفاضة ومغفر وسيف جيد •

وحمل لواء المشركين مسافح بن طلحه فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتله فحمل اللواء أخو مسافح الحرث بن طلحة فرماه عاصم بن ثابت أبى الأفلح بسهم فقتله • فحمل اللواء أخو مسافح وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله قزمان •

نظر قتادة بن النعمان الى قزمان فى عجب • انه من المنافقين • لماذا لحق بجيش رسول الله ﷺ عند الثنية ؟ لما جاء سأله قتادة :

ـ لماذا تثاقلت عن الخروج يا أبا الغيداق ؟

قال قزمان : لما أصبحت عيرتنى نساء بنى ظفر فقلن : يا قزمان قد خرج الرجال وبقيت • ألا تستحى ياقزمان مما صنعت ؟ وطاف بذهنى أن رسول الله اذا ذكرنى قال : انه من أهل النار • فوطنت النفس على عدم الخروج وأعرضت عما تقول النسوة • ولكنهن ألحفن فى تعييرى فقلن : ما أنت الا امرأة • خرج قومك وبقيت فى الدار ؟ • فثارت الدماء فى عروقى • فدخلت الدار وحملت سيفى وكنانتى ولحقت برسول الله •

حمل الجلاس بن طلحة اللواء بعد قتل اخوته • فانقض عليه طلحة بن عبيد الله فضربه بسيفه ضربة أزهقت روحه فسقط لواء قريش بعد مقتل آخر أبناء طلحة فكبر المسلمون • ولكن أرطأة بن شرحبيل حمل لواء المشركين فلم يمهله على بن أبى طالب فضربه بسيفه فتركه كأمس الدابر •

والتقى الجمعان والتقط لواء قريش شريح بن قانط فصار هدفا لفرسان المسلمين فقتل ثم حمل اللواء صواب غلام بنى عبد الدار فاندفع قزمان اليه وضربه فقطع يده اليمنى فاحتمل اللواء باليسرى فضربه قزمان فقطعها فاحتضن اللواء بذراعيه وعضديه وحنى ظهره عليه وقال :

ـ يا بنى عبد الدار هل اعتذرت ؟

فحمل عليه قزمان فقتله .

وزاد عجب قتادة بن النعمان أهذا قزمان من أهل النار ؟ لماذا خرج يقاتل ؟ ألم يخرج مع رسول الله ﷺ ليقاتل فى سبيل الله ؟ ألم يأت ليحقق احدى الحسنيين اما نصر واما شهادة ؟

وخرج من بين صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبى بكر وطلب المبارزة فمشى اليه أبوه أبو بكر شاهرا سيفه ولكن صوت رسول الله ﷺ أدركه :

ـ شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك .

وكرت خيل قريش على المسلمين فاستقبلهم عبد الله بن جبير ومن معه من الرماة بالنبل فارتد الفرسان مدبرين متفرقين . وارتفعت أصوات المسلمين :
ـ أمت . أمت .

واستفحل عجب قتادة بن النعمان لما رأى الأصيرم عمرو بن وقش يقاتل مع أصحاب رسول الله ﷺ وهو من بنى عبد الأشهل .

فقال له قتادة :
ـ ما الذى جاء بك ؟ أحدب على قومك أم رغبة فى الاسلام ؟
قال عمرو بن وقش : قذف الله الاسلام فى قلبى فأسلمت وأخذت سيفى .

وراح عمرو بن وقش يقاتل فرماه رجل من المشركين بسهم فقتله .
فقال رسول الله ﷺ وهو ينظر اليه :
ـ هذا من أهل الجنة ولم يصل لله سجدة .
وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول : أنا ابن عويف .
فتلقاه رشيد الأنصارى فضربه على عاتقه فقطع الدرع وأطاح برأسه .
فقال رشيد : خذها وأنا الغلام الفارسى .

فقال رسول الله ﷺ :
ــ ألا قلت خذها وأنا الغلام الأنصارى ؟
فعرض لرشيد أخو المقتول يعدو مطالبا بثأر أخيه : أنا ابن عويف •

فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق راسه • فقال رشيد :

ــ خذها وأنا الفتى الأنصارى •

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : أحسنت يا أبا عبد الله •

وحاول فرسان قريش أن يحملوا على المسلمين ولكن الرماة الذين أسندوا ظهورهم الى جبل أحد راحوا يصوبون اليهم النبل فصهلت الخيل وارتدت الى الوادى لا يلوون على شىء • وولى رجال قريش وأيس من كان فى العسكر من نصرتهم وانحاش النســاء فى حجرهن ســلم لمن أرادهن • وراح قزمان ينهب العسكر اقبح انتهاب • وغدا المسلمون يأخذون ما تصلُ اليه أيديهم •• وصــار النهب فى يد المسلمين ورأى الرماة اخوانهم ينتهبون عسكر المشركين فقال بعضهم لبعض : الغنيمة الغنيمة •

فقال عبد الله بن جبير :

ــ مهلا أما علمتم ما عهد اليكم رسول الله ﷺ لقد قال لكم : احموا ظهورنا وان غنمنا فلا تشركونا •

فقالوا : لم يرد رســول الله هــذا وقد أذل الله المشركين وهزمهم فادخلوا العسكر فانتهبوا مع اخوانكم •

فقال الحارث بن أنس بن رافع :
ــ يا قوم •• اذكروا عهد نبيكم اليكم وأطيعوا أميركم •

فأبوا وذهبوا الى عسكر قريش ينتهبون وخلوا الجبل • فانطلق فرســان قريش الى موضع الرماة فحملوا على من بقى منهم وقتلوهم • وظل عبد الله بن جبير يقاتل حتى فنيت نبله ثم طاعن بالسيف حتى انكسر وقتل ••

وارتفع صوت أحد المشركين : قتل حمزة بن عبد المطلب •

ودخل فرسان قريش عسكرهم فوجدوا المسلمين ينهبونه آمنين فوضعوا فيهم سيوفهم • واختلط المسلمون وصاروا يقتلون بعضهم بعضـا وما يشعرون بما يصنعون من الدهش والعجب والعجل وأصيبت عين قتادة بن النعمان بسهم فأتى رسول الله ﷺ فردها بيده • فكانت أحسن عينيه •

ودخل قزمان وسط جيش المشركين •

فقال المسلمون : قد قتل •

ولكنه سرعان ما عاد وهو يقول :

ــ أنا الغلام الظفرى •

ثم عاد وشق صفوف قريش وغاب •

فقال الناس : قد قتل قزمان •

ولكنه ما لبث أن طلع يصيح :

ــ أنا الغلام الظفرى •

وأقبل خالد بن الأعلم العقيلى وهو مدجج بالحديد فقال وهو يشير بسيفه نحو أصحاب رسول الله ﷺ :

ــ استوسقوا كما يستوسق جرب الغنم •

ثم قال بأعلى صوته : يا معشر قريش لا تقتلوا محمدا ائسروه أسرا حتى نعرفه ما صنع •

فمشى اليه قزمان وضربه بالسيف ضربة على عاتقه أردته قتيلا • فطلع على قزمان الوليد بن العاص بن هشام المخزومى ما يرى منه الا عيناه فضربه قزمان بسيفه فجزله اثنتين •

وأقبل عبد الله بن شهاب الزهرى يقول :

ــ دلونى على محمد • فلا نجوت ان نجا •

وكان رسول الله ﷺ الى جنبه ما معه أحد ولكنه تجاوزه ولم يره •

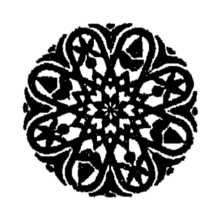
وكثرت جراح قزمان فوقع على الأرض فقال له قتادة بن النعمان :

ـ أبا الغيداق •
قال قزمان : لبيك •
قال قتادة : هنيئا لك لقد أبليت اليوم بلاء حسنا يا قزمان فابشر •
قال قزمان : بما أبشر ؟
قال قتادة : أبشر بالجنة •

قال قزمان : والله ما قاتلت على دين ولكن ما قاتلت الا على أحساب قومى وأن تسير قريش الينا فتطأ سعفنا ولولا ذلك ما قاتلت •

ثم أخذ سيفا من كنانته فقتل به نفسه •

فقال قتادة بن النعمان فى انفعال : لقــد صــدق رسول الله ﷺ • انك من أهل النــار •



أبو سفيان بن الحارث

أخو وخير أهل رسول الله

كان راقدا على فراشه وأهله من حوله يبكون • فرفع يده فى وهن وقال :

ــ لا تبكوا على فانى لم أتنطف بخطيئة منذ أن أسلمت •

وأغمض أبو سفيان بن الحارث عينيه • فرأى نفسه مع محمد بن عبد الله فى شوارع مكة وفى شعابها • كان أخوه من الرضاعة أرضعتهما حليمة بنت أبى ذؤيب بضعة أيام • ونشأ فى صباه رفيقا له متوددا اليه • وكان لا يفارقه • وصار أبو سفيان شاعر بنى هاشم بعد موت عمه الزبير بن عبد المطلب وأبى طالب • وكان ككل الشعراء معجبا بشعره • فلما اهتزت مكة بنبأ هبوط ملك من السماء على محمد ﷺ وأنه بشر بالدعوة الهادية • فتبعه بعض الأقارب واستجابوا له وأنابوا اليه بلا تردد أو ارتياب • ومنهم من أعرضوا عنه ونفروا منه وخرجوا عليه وفى مقدمتهم أبو سفيان بن الحارث • فقد تحرك حسده فما يتلوه محمد ﷺ عجب • فقد عرف أبو سفيان الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه فما هو بالشعر ولا هو بزمزمة الكهان ولا سجعه • انه يعرف طريقه الى القلوب • فعادى أبو سفيان ابن عمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ أشد عداوة حتى لا يطيح بسلطان الشعر والشعراء • واشتعلت العداوة له بعد أن سخر القرآن بالشعر والشعراء • وأدرك أبو سفيان أن ما جاء به محمد ﷺ لا يبقى على مجد وشرف وجاه • فأخذ الشاعر المفلق يهجو محمدا ــ عليه الصلاة والسلام ــ والاسلام وأهله • ولم يكتف بذلك بل كان يبطش بكل من دخل فى الاسلام • ولم يكن أبو سفيان الشاعر الوحيد الذى يهجو محمدا ﷺ فأغاظ ذلك أتباع محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقال رجل منهم لعلى بن أبى طالب : اهج عنا القوم الذين قد هجونا •

قال على : ان أذن لى رسول الله ﷺ •• فعلت •

فقال الرجل :

ـ يا رسول الله ائذن لعلى كى يهجو عنا أبا سفيان بن الحارث وعمرو بن العاص وعبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب الذين هجونا •

قال محمد ـ عليه الصلاة والسلام : ليس عنده ذلك •

ثم أردف محمد ﷺ للأنصار :

ـ ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟

فتقدم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأخذوا يهجون رهط قريش من الشعراء وعيروهم بالكفر • ورد حسان بن ثابت على أبى سفيان ابن الحارث فى قوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى	مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا وأجبت عنه	وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء	فشركما لخيركما الفداء

وكان أبو سفيان يلقى سمعه الى القرآن فيربو حسده فيسب محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحينما قدم ضمضم بن عمرو الغفارى الى مكة وصرخ ببطن الوادى :

ـ يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة • أموالكم مع أبى سفيان بن حرب قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها • الغوث الغوث •

فقال أبو الحكم بن هشام لأبى سفيان بن الحارث :

ـ أنت لها • فلك مكانتك فى تحريض الناس على عداوة محمد واثارة الحقد والثأر فى نفوسهم •

فأخذ أبو سفيان بن الحارث يحرض قريشا على استئصال شأفة ابن عبد الله ﷺ قبل أن يستفحل أمره • وتصدى لخوفه أمية بن خلف وتردد عتبة بن ربيعة وحكيم بن حزام • وتجهز الناس سراعا • وخرجت قريش فى عدتها وهى واثقة من القضاء على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه • ولم يتخلف من سادات قريش الا عبد العزى بن عبد المطلب فبعث مكانه العاص بن المغيرة • ولما عاد ضمضم بن عمرو ولقى قريشا فى الطريق الى بدر • أخبر أشرافها أن أبا سفيان بن حرب قد أفلت بعيره من محمد ﷺ وأصحابه • ففرح عتبة بن ربيعة وحكيم بن حزام وأمية بن خلف • وراحوا يثنون القوم عن عزمهم وحمدوا الآلهة التى أنجت العير • وطلبوا من أبى الحكم العودة بلا قتال • ولكن أبا سفيان بن

الحارث وأبا الحكم والنضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط أقسموا ألا ترجع قريش حتى تثأر من محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ ومن تبعه • ودار القتال •

ورأى أبو سفيان بن الحارث وهو يحارب مع قريش فى بدر ما حير لبه • قلة بلا عتاد هزمت كثرة بعتادها وعدتها ؟ وقتلت صناديدها •• عمرو بن هشام وعتبة وشيبة ابنى ربيعــة والوليد بن عتبــة وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط وحنظلة بن أبى سفيان بن حرب وأبا البخترى و •• وأسر سهيل بن عمرو ونوفل بن الحارث والعباس بن عبد المطلب وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت محمد ﷺ ووهب بن عمير بن وهب و•• و•• ولما رجع أبو سفيان الى مكة قابله عمه عبد العزى فقال :

ــ هلم الى يا ابن أخى فعندك لعمرى الخبر • حدثنا كيف كان أمر الناس ؟ فقد حمل الينا الحيثمان بن عبد الله الخزاعى وكل من قدم من بدر أخبارا نزلت علينا نزول الصاعقة •

قال أبو سفيان :

ــ واللات ما هو الا أن لقينا القــوم حتى منحناهم أكتافنا فقتلونا كيف شاءوا وأسرورنا كيف شاءوا •• وأيم الله ما لمت قريشا فلقد لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يشبهها شىء ولا يقف أمامها شىء •

وهم أبو سفيان بن الحارث أن يركب فرسه ويطوى الأرض طيا الى يثرب ويمد يده مبايعا ابن عمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ وينطق بالشهادتين • ولكن الحقد والكبرياء والحسد أوثق قدميه •

أحس أبو سفيان بن الحارث بالظمأ فقال فى صوت خافت : أريد جرعة ماء • فقدم اليه ابنه جعفر قدحا به ماء •

وقع نوفل بن الحارث أخو أبى سفيان يوم بدر أسيرا •• فقال له محمد عليه الصلاة والسلام :

ــ افد نفسك يا نوفل ••
قال نوفل : مالى شىء أفدى به نفسى يا محمد

قال محمد ﷺ : افد نفسك برماحك التى بجدة •

فمد نوفل يده مبايعا محمدا — عليه الصلاة والسلام — وقال فى انفعال :

— والذى نفسى بيده لا أحد يعرف عن هذه الرماح شيئا • وما أنبأك بأمر رماحى الا العليم الخبير • وانى أشهد أنك عبد الله ورسوله ••

وشهد أبو سفيان بن الحارث يوم أحد ولم يتخلف عن حشد حشدته قريش لقتال محمد ﷺ وأصحابه • ويوم الخندق •• خرجت قريش وبنو سليم وبنو أسد وغطفان وفزارة وبنو مرة وأشجع فى عشرة آلاف يقودهم أبو سفيان بن حرب • وسارت الأحزاب نحو المدينة وقلوب الرجال تمور بالحقد على محمد ﷺ وأصحابه • فقد عزموا على أن ينالوا نصرا مثل ذلك الذى أحرزوه يوم أحد • وكادت أحلام الأحزاب تنهار أمام عمق الخندق الذى حفره محمد — عليه الصلاة والسلام — وأتباعه ليفصل بين جيش الأحزاب وجيشه فى المدينة • فلجأ أبو سفيان بن حرب الى حصار المدينة • وحرض يهود بنى قريظة فنقضت عهدها مع محمد ﷺ فانكشف ظهر المدينة وأصبحت صيدا سهلا • واشتد البلاء على محمد — عليه الصلاة والسلام — وأصحابه • وأوشكت قريش أن تحقق حلمها وينال الموتورون ثأرهم •• لولا أن وقع خلاف بين الأحزاب وبنى قريظة • وهبت ريح فى ليال شديدة البرد اقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى بالرجال على أمتعتهم وأطفأت نيرانهم • فقام أبو سفيان بن حرب وقال :

— يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام • لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عذهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون • ما تطمئن قدور ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء • فارتحلوا انى مرتحل •

ثم قام لجمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث •

لم يستشعر أبو سفيان بن الحارث شدة الريح العاتية ولا برد الليل • بل كان يتأمل ما حدث حوله • لماذا حدث كل ذلك لما أوشكت قريش أن تثأر ؟ وتذكر يوم بدر •• رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض ما يشبهها شىء • ولا يقف أمامها شىء •• وقال لنفسه : لم لا يكون هؤلاء الرجال قد

عادوا واقتلعوا بيوت قريش وقطعوا أطنابها وأطفأوا نيرانها وبثــوا الرعب فى قلوب رجال الأحزاب ؟ وفكر أبو سفيان بن الحارث ألا يعود الى مكة • ونظر نحو المدينة وقرر أن يذهب الى ابن عمه محمد ﷺ • ولكن صوت أبى سفيان بن حرب انتزعه من شروده يوم ذاك :

ــ لم لا تركب فرسك يا أبا جعفر ؟
فلحق بجمل أبى سفيان ••

ثم أسلم أخواه ربيعة بن الحارث وعبد الله بن الحارث وأسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص و •• صارت قريش تسلم رجلا رجلا • وخلا أبو سفيان بن الحارث بنفسه • فرأى عشرين عاما قضاها فى عداوة موصولة لمحمد ــ عليــه الصلاة والسلام ــ وللاسلام • وانه على الحق وشأنه يعلو • ورأى نفوذ قريش يتقلص • فراودته نفسه أن ينطلق الى يثرب ويعلن اسلامه • ولكن حسده وخوفه من تقريع قريش كان يتحرك فى صدره فيلجمه •

وذات يوم انتزع حسده وقهر خوفه • فأخذ بيده ابنه جعفر وقال لأهله :
ــ انا مسافران •

قالت زوجته : الى أين يا ابن الحارث ؟
قال أبو سفيان : الى رسول الله لنسلم لله رب العالمين •

ومضى يقطع الأرض بفرســه • وبينما هما فى الطريق لقيــا عبد الله بن أبى أميــة بن عمتــه عاتكة بنت عبــد المطلب أخا أم سلمه أم المؤمنين لأبيها فتساءل أبو سفيان بن الحارث :

ــ الى أين يا عبد الله ؟
قال عبد الله بن أبى أمية :
ــ الى رسول الله لأشهد شهادة الحق •

فقال أبو سفيان : وهل سينسى رسول الله قولك : والله لا أومن بك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فتعرج فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بأربعة ملائكة يشهدون أنك رسول الله أرسلك •• وأيم الله ان فعلت ذلك ما ظننت أنى مصدقك ••؟

قال عبد الله : وهل سينسى هجاءك القاذع البذىء ؟
قال أبو سفيان : اننا نطمع فى عفوه وعظيم خلقه •

ولقى أبو سفيان وابنه جعفو وعبد الله بن أبى أمية جيشا لجبا بالقرب من الأبواء لم يروا مثله • وأدركوا انه جيش رسول الله ﷺ قاصدا مكة ليفتحها • فتوقف أبو سفيان بن الحارث • لقد أهدر النبى عليه الصلاة والسلام دمه من طول ما حمل سيفه ولسانه ضد الاســلام مقاتلا وهاجيا • فاذا رآه واحد من أصحابه فسيسارع الى قتله • فلم لا يحتال للأمر ؟ لكن كيف ؟ وهداه تفكيره الى أن يلقى بنفسه بين يدى رسول الله ﷺ أولا وقبل أن تقع عليه عين أحد من أتباعه • واسدل أبو سفيان القنــاع على وجهه واخذ ابنه جعفرا من يده ولحق بهما عبد الله بن أبى أميــة •• وذهبوا الى أم سلمة أم المؤمنين •• فقال لها أخوها عبد الله :

ـ يا أم المؤمنين •• اسألى رسول الله أن يعفو عنا •

قالت أم سلمة لنبى الله : يا رسول الله ابن عمــك وابن عمتــك وصهرك لا يكونا أشقى الناس بك •

قال رسول الله ﷺ :
ـ لا حاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى واما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال بمكة ما قال •

قال أبو سفيان بن الحارث : والله ليأذن لى أو لآخذن بيد ابنى هذا فلأذهبن فلا يدرى أين أذهب •

ورأى أبو سفيان على بن أبى طالب فقال له ابن عمه :

ـ ائت رســول الله من قبل وجهــه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف « **تا الله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** » •

فدخل أبو سفيان بن الحارث وابنــه جعفر وعبد الله بن أبى أميــة على رسول الله ﷺ وعندما رأى أبا سفيان حول وجهه عنه فأتاه من الناحية الأخرى • فأعرض النبى عليه الصلاة والسلام عنه فقال أبو سفيان :

ـ « تا الله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين » •
فرق حينئذ له رسول الله ﷺ وقال :
ـ « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » •
فقال أبو سفيان وابنه جعفر وعبد الله بن أبى أمية فى انفعال :
ـ نشهد أن لا اله الا الله ونشهد أن محمدا رسول الله •

وقال أبو سفيان :

لعمرك أنى يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
هدانى هاد غير نفسى ونالنى مع الله من طردت كل مطرد

فضربه رسول الله ﷺ فى صدره وقال :
ـ أنت طردتنى كل مطرد •

فأطرق أبو سفيان برأسه حياء منه • فقال النبى عليه الصلاة والسلام :
ـ يا على •• علم ابن عمك الوضوء وبصره بالسنة ورح به الى •

فخرج على بأبى سفيان وفعل ما أمر به •
ثم عاد على الى رسول الله ﷺ فقال له :

ـ ناد فى الناس أن رسول الله رضى عن أبى سفيان بن الحارث فارضوا عنه •

نظر أبو سفيان نحو زوجته وابنه جعفر •• ثم عاد الى رحلة ذكرياته •••

وبدأ أبو سفيان مرحلة التكفير والتطهر فأقبل يهجو الشرك وأهله • وشهد مع النبى عليه الصلاة والسلام فتح مكة وحمد الله أنه نال ثواب الهجرة وأنه لم يكن من الطلقاء •

وبلغ رسول الله ﷺ أن الرعب قد وقع فى قلوب هوازن وثقيف بعد أن فتح الله عليه أم القرى وأن مالك بن عوف النصرى قد مشى الى ثقيف وقال : قد فرغ لنا فلا ناهية •

وحشد بنو جشم وبنو سعد بن بكر وأوزاعا من هلال وأقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاء والنعم وجاءوا بقضهم وقضيضهم وقالوا :

ـ والله ان محمدا وصحبه لاقوا أقواما لا يحسنون القتال •

فانطلق اليهم رسول الله ﷺ ومعه عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ومعه الذين أسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء فى الفين فكانوا اثنى عشر الفا • فلما بلغ جيش المسلمين واديا من أوديه تهامة يقال له حنين بادره مالك بن عوف ومن معه بالنبال والحجارة • ثم حملوا على المسلمين حمله رجل واحد بأسيافهم فملأ الخوف قلوب أتباع رسول الله ﷺ وولوا مدبرين • وكان الطلقاء اول من انهزم • وقال بعضهم لبعض :

ـ اخذلوه •• هذا وقته •

فانهزموا وتبعهم كثير من الناس • وثبت النبى عليه الصلاة والسلام وهو راكب بغلته الشهباء يسوقها نحو العدو • والعباس بن عبد المطلب آخذ بركابها الأيمن وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابها الأيسر وحوله ثمانون من أصحابه منهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب والفضل بن العباس وأيمن ابن أم أيمن وأسامة بن زيد و •• وأخذ رسول لله ﷺ ينادى :

ـ هلم الى أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب •

فلما رأى رسول الله ﷺ الناس لا يلوون على شىء قال :
ـ يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار • يا أصحاب الشجرة • يا أصحاب سورة البقرة • يا أصحاب السمرة •

فجعل الناس يقولون : لبيك • لبيك •

وانعطفوا • وتراجعوا الى النبى عليه الصلاة والسلام حتى أن الرجل اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع لبس درعه ثم انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه الى رسول الله ﷺ • فلما اجتمعت شرذمة منهم عند النبى عليه الصلاة والسلام أمرهم أن يصدقوا الحملة • وأخذ قبضة من التراب ودعا ربه واستنصره وقال : اللهم أنجز لى ما وعدتنى •

ثم رمى القوم بقبضة التراب فما بقى انسان منهم الا أصابه منها فى عينيه وفمه ما شغله عن القتال • وأخذ أبو سفيان بن الحارث يلعب بسيفه يريد الموت دون أخيه وابن عمه رسول الله ﷺ • كان يريد أن يموت شهيدا فى سبيل الله وبين يدى نبيه •

فقال رسول الله ﷺ : من هذا الذى يمسك بيسراه لجام بغلتى ؟

قال أبو سفيان :
ــ أنا ابن أمك يا رسول الله •

قال العباس بن عبد المطلب : أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث فارض عنه يا رسول الله •

قال النبى عليه الصلاة والسلام .
ــ غفر الله له كل عداوة عادانيها •
ثم التفت الى أبى سفيان وقال فى حب : أبو سفيان بن الحارث أخى •

ساعتها مست كلمة أخى قلبه ونزلت على صدره بردا وسلاما ومسحت ما سلف من لسانه وصنعت له جناحين طار بهما الى أفق السماء • ورفعته مكانا عليا • فانكب على رجلى رسول الله ﷺ وغسلهما بدموعه •

ودارت الدائرة على هوازن وثقيف وانهزم مالك بن عوف وولى هاربا فأتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون •

فقال أبو سفيان بن الحارث :

لقد علمت أفناء كعب وعامر	غداة حنين حين عم التضعضع
بأنى أخو الهيجاء أركب حدها	أمام رسول الله لا أتعتع
رجاء ثواب الله والله راحم	اليه ــ تعالى ــ كل أمر سيرجع

وأقبل أبو سفيان على العبادة وطهرته التوبة الصادقة تطهيرا وأعزته التقوى اعزازا • وواصل الجهاد فى سبيل الله بلسانه وسنانه وجنانه • فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ أبو سفيان أخى وخير أهلى وقد أعقبنى الله وأرجو أن يكون خلفا من حمزة بن عبد المطلب • أبو سفيان سيد فتيان أهل الجنة •

ولما انتقل رسول الله ﷺ الى الرفيق الأعلى رثاه بقصيدة قال فيها :

أرقت فبـــات ليـــلى لا يزول ... وليـل أخ المصيبة فيـه يطول
وأســعدنى البـكاء وذاك فيمـا ... أصيب المســلمون به قليـــل
فقــد عظمت مصــيبتنا وجلت ... عشـية قيل قد قبض الرســول
فقــدنا الوحى والتنــزيل فينـا ... يروح به ويغـــدو جبـــريل

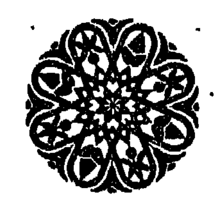
وواصل أبو سفيان خطواته فى البر والجهاد والعبـادة ٠ وذهب الى مكة حاجا ٠ فلما حلق رأسه قطع الحالق ثألولا له فى رأسه فتمرض منه ٠ ثم رجع الى المدينة فلم يزل كذلك ومنذ أيام استشعر المرض فراح يجول بين المقـابر فرآه عقيل بن أبى طالب فقال له :

ـ يا ابن عمى مالى أراك فى البقيع ؟

فقال أبو سفيان بن الحارث : أطلب موضع قبرى ٠

ثم حمل معوله وأخذ يحفر لحدا ويسويه ٠ وقعد عليه ساعه ثم عاد الى بيته وقد ثقلت عليـه وطأة المرض فرقد فى فراشـه وقال : اذا مت فليصـل على عمر بن الخطاب ٠

فتح أبو سفيان عينيه ٠ وتحسست يده المرتعشة رأسـه ٠٠ وأشرقت على وجهه ابتسامة الغريب العائد الى وطنه ٠



جعفر بن أبى طالب

طائر الجنة • جعل الله له جناحين من عقيق

ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ • فبكى عبد الله بن رواحة فقالوا :

ـ ما يبكيك يا ابن رواحة ؟

قال عبد الله بن رواحة :

ـ أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقرأ من كتاب الله عز وجل « **وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا** » فلست أدرى كيف لى بالصد بعد الورود •

فقال المسلمون :

ـ صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين •

فقال عبد الله بن رواحة :

لكنى أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة	بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثى	أرشده الله من غاز وقد رشدا

وعادت كلمات رسول الله ﷺ تشدو فى أذنى جعفر بن أبى طالب :

ـ لقد استعملت على الناس زيد بن حارثة • ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس •

فتقدم جعفر الى رسول الله ﷺ • كان جعفر سعيدا فقد رجا النبى عليه الصلاة والسلام أن يجعل له فى هذه الغزوة مكانا • كان يدرك أنها حرب مع جيش الروم صاحب العتاد والأعداد والأموال • كان فى شوق فاما أن يحقق نصرا لدين الله واما أن يظفر باستشهاد عظيم فى سبيل الله •

تهيأ جيش المسلمين للخروج . فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ مودعه ثم قال :

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذى نصر
انى تفرست فيك الخير نافلة الله يعلم انى ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر

خرج القوم . وخرج النبى عليه الصلاة والسلام حتى اذا ودعهم .. ثم عاد الى المدينة .

فقال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرىء ودعته فى النخل خير مشيع وخليل

ومضى جيش المسلمين صوب الشام ...
وعاد خيال جعفر بن أبى طالب الى مكة ...

رأى نفسه يوما فى حانوت أبيه أبى طالب . كان فردا بعد أن انصرف الناس . فجاءه سعد بن أبى وقاص وقال له : جئتك يا جعفر فى أمر ذى بال .. أنت يا جعفر أعلم الناس بمحمد بن عبد الله ومقدار صدقه وأمانته فأنت ابن عمه . وهو منكم .

فقال جعفر فى حماس : ان محمدا غير متهم فهو يؤدى الأمانة ويصل الرحم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر .

قال سعد بن أبى وقاص :

ـ ولقد نزل عليه وحى من السماء . وأمره الله تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين .

قال جعفر بن أبى طالب :

ـ أعلم أنه يدعو الى عبادة الله وحده وأن أبا بكر وأخى عليا وزيد بن حارثة و .. ولقد أسلمت البارحة أنا وزوجتى أسماء بنت عميس .

ولم يعد جعفر يستطيع صبرا عن رسول الله ﷺ فكان يأتيه ليلقى اليه سمعه ليسعد بعذوبة القرآن فأمسى يقوم الليل اذ الناس نائمون ويصوم النهار اذ الناس مفطرون ويغمره الحزن اذ الناس يفرحون ويجهش بالبكاء

اد الناس يضحكون ويمتلىء بالخشوع اذ الناس يختالون • وحمل هو وزوجه أسماء نصيبا من الأذى والاضطهاد فى صبر وشجاعة وغبطة • وشبت العداوة بين النبى عليه الصلاة والسلام وبين سادات مكة • وملأ الغيظ قلوبهم لما هاجر بعض أتباع رسول الله ﷺ الى الحبشة ووجدوا الأمن والاستقرار • ثم عادوا الى أم القرى لما علموا أن عمر بن الخطاب قد أعز الله به الاسلام وصار المسلمون يصلون فى المسجد الحرام ويقرأون القرآن •• واشتدت عداوة قريش لرسول الله ﷺ وأصحابه ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر • ومن المستضعفين من فتن من شدة العذاب ومنهم من عصمه الله • فذهبوا الى رسول الله ﷺ يستأذنونه فى الهجرة الى الحبشة فأذن لهم فقال عثمان بن عفان :

ــ يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة الى النجاشى ولست معنا •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ أنتم مهاجرون الى الله والى • لكم هاتان الهجرتان جميعا •

قال عثمان بن عفان :

ــ فحسبنا يا رسول الله •

وهاجر من بنى هاشم جعفر بن أبى طالب مع زوجته أسماء بنت عميس ومن بنى أمية عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وعمرو من سعيد بن العاص ومعه زوجته فاطمة بنت صفوان وأخوه خالد بن سعيد بن العاص معه امرأته أمينة بنت خلف • ومن بنى أسد بن خزيمة عبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله بن جحش معه زوجته رملة (أم حبيبة) بنت أبى سفيان ومن بنى عبد شمس أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة • ومن بنى أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام والأسود بن نوفل ويزيد بن زمعة وعمرو بن أمية ومن بنى عبد الدار مصعب بن عمير وفراس بن النضر بن الحارث ومن بنى زهرة عبد الرحمن بن عوف وعامر بن أبى وقاص وأبو وقاص مالك بن أهيب • ومن هذيل عبد الله بن مسعود وأخوه عتبة بن مسعود • ومن بهراء المقداد بن عمرو ومن بنى تيم الحارث بن خالد • ومن بنى مخزوم أبو سلمة ومعه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة • ومن بنى جمح عثمان بن مظعون • ومن بنى سهم هشام بن العاص بن وائل • ومن بنى الحارث بن فهر أبو عبيدة بن

الجراح • كانوا ثلاثة وثمانين رجلا فيهم أبناء ألد أعداء رسول ﷺ : أبى سفيان ابن حرب • النضر بن الحارث • العاص بن وائل • سهيل بن عمرو • عتبة بن ربيعة وشباب بنى مخزوم رهط أبى جهل •• تركوا آباءهم سادات قريش وانطلقوا الى الحبشة • ووجد المسلمون الأمن والاستقرار بجوار النجاشى وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا • وانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله • وراح شعراؤهم يبعثون الى قريش بقصائد يقولون فيها : أنهم وجدوا بلاد الله واسعة تنجى من الذل والهوان • وأخرى ذكر فيها نفى قريش اياهم من بلادهم وثالثة تحمل عتابا لقومهم • وكان عبد الله بن الحارث يبعث بقصائده فسمى المبرق •

وذات يوم أرسل النجاشى الى أصحاب رسول الله ﷺ • ودعاهم •

قال مصعب بن عمير لعثمان بن عفان : ان النجاشى يألفك وكثيرا ما كان يبعث فى طلبك ليحاورك وكان يعجب من غزارة علمك • فهل حدثته عن الاسلام ؟

قال عثمان بن عفان : ما حدثته عن الاسلام خشية أن يوغر صدر الرجل الذى أكرمنا وأحسن استقبالنا •

قال أبو عبيدة بن الجراح : قلبى يحدثنى أن مجىء عمرو بن العاص وراءه شر •

قال عثمان بن مظعون : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » •
تساءل مصعب بن عمير : ما تقولون للنجاشى اذا أجبتموه ؟

قال عبد الله بن مسعود : نقول والله ما علمنا وأمرنا نبينا عليه الصلاة والسلام •• كائنا من ذلك ما هو كائن •

وانطلقوا الى قصر النجاشى فلما اقتربوا منه قال جعفر بن أبى طالب :
ــ أنا خطيبكم اليوم •
وبلغوا باب قاعة العرش •

قال مصعب بن عمير : قد وشى بنا قومنا •
قال الزبير بن العوام : نعم •• وشوا بنا • وما نقول للنجاشى الآن ؟
قال جعفر بأعلى صوته : جعفر بن أبى طالب بالباب يستأذن ومعه حزب الله •

فسمع النجاشى الصوت فقال : نعم .. يدخل بأمان الله وذمته .

وتقدم أصحاب النبى ﷺ مرفوعى الرءوس ولم يسجدوا للنجاشى وقالوا :

ــ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ورأى عمرو بن العاص أن يوغر صدر الملك عليهم فقال :

ــ ألا ترى أيها الملك أنهم مستكبرون ولم يحيوك بتحيتك ؟

قال النجاشى غاضبا : ما منعكم أن تسجدوا وتحيونى بتحيتى التى أحيا بها ؟

قال جعفر بن أبى طالب : أنا لا نسجد الا لله عز وجل أيها الملك . أما تحيتنا فهى السلام تحية أهل الجنة . أيها الملك سل هذين الرجلين (عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة) أعبيد نحن أم أحرار ؟ فان كنا عبيدا قد أبقنا من موالينا فارددنا اليهم .

قال عمرو بن العاص : بل أحرار كرام .

تساءل جعفر : هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا ؟

قال عبد الله بن أبى ربيعة : لا .. ولا قطرة .

قال جعفر بن أبى طالب : فهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها ؟

قال عمرو بن العاص : ولا قيراط .

قال النجاشى : فما تطلبون منهم ؟

قال عمرو بن العاص : كنا وهم على دين واحد . على دين أبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره .

فقال النجاشى لجعفر : ما هذا الذى كنتم عليه والذى اتبعتموه ؟ واصدقنى .

قال جعفر : أما الذى كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان . كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذى تحولنا اليه فهو دين الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له .

فقال النجاشى : تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك .

ثم أمر الملك أن يضرب الناقوس فاجتمع كل قسيس وراهب فقال :

ـ أنشدكم الله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجـدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا ؟

قالوا : اللهم نعم بشرنا به عيسى وقال : من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بى •

قال النجاشى لجعفر : ماذا يقول لكم هذا الرجل ؟ وماذا يأمركم به وماذا ينهاكم عنه ؟

قال جعفر بن أبى طالب : يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له •

تساءل النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟
قال جعفر : نعم :
قال النجاشى : فاقرأه علىّ •
قال جعفر بن أبى طالب :

« بسم الله الرحمن الرحيم • ألم • أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين • أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون • من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم • ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين • والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون • ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون • والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين » •

قال النجاشى : زدنا من هذا الحديث الطيب •

قال جعفر :

« بسم الله الرحمن الرحيم • ألم • غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون•

ينصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم • وعد الله لا يخلف الله وعــده ولكن أكثر الناس لا يعلمون • يعلمون ظاهرا من الحياة وهم عن الآخرة غافلون • أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » •

فاضت عينا النجاشى بالدمع وقال :

ــ ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة •

قال الأساقفة والرهبان : والله ان هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح •

قال عبد الله بن أبى ربيعة لعمرو بن العاص : أسمعت ؟

قال عمرو بن العاص :

ــ واللات والعزى لأقول له الآن ما أستأصل به خضراءهم •

قال عبد الله بن أبى ربيعة : لا تفعل ان لهم أرحاما وان كانوا خالفونا •

تقدم عمرو بن العاص من النجاشى وقال :

ــ أيها الملك انهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما •

قال النجاشى فى غضب : ماذا يقولون ؟

قال عمرو بن العاص : انهم يقولون : ان عيسى عبد ويسبون أمه •

التفت النجاشى الى جعفر بن أبى طالب ومصعب بن عمير وعثمان بن عفان وقال :

ــ يا أصحاب محمد ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟

قال جعفر : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول •

قال مصعب بن عمير :

« بسم الله الرحمن الرحيم • واذكر فى الكتــاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا • فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا • قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما

زكيا • قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا • قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا » •

ضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عودا وقال :
ــ والله ماعدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود •

ثم قال لأصحاب النبى ﷺ : والله أنتم آمنون بأرضى • من سبكم غرم • من سبكم غرم • من سبكم غرم • وما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنى آذيت رجلا منكم •

والتفت الى كاتم سره وخدمه وقال : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه •

فخرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به وضاق رجال الدين بما قرأ جعفر بن أبى طالب ومصعب بن عمير من آيات الذكر الحكيم • فاجتمعوا وقالوا للنجاشى :

ــ انك قد فارقت ديننا •

وخرجوا عليه • فأرسل الى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال :

ــ اركبوا وكونوا كما أنتم فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم • وان ظفرت فاثبتوا •

ثم عمد الى كتاب فكتب فيه : « هو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله • ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه • وكلمته ألقاها الى مريم » ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن • وخرج الى الذين خرجوا عليه • ودارت المعركة بين الفريقين • والمسلمون فى سفنهم يرقبون القتال وقلوبهم واجفة يدعون الله فى صدق واخلاص أن يؤيد النجاشى وينصره • واشتد القتال •

قال جعفر بن أبى طالب :
ــ من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم يأتينا بالخبر ؟

قال الزبير بن العوام :
ـــ أنا •
قال مصعب بن عمير : فأنت •

فنفخوا له قربة جعلها الزبير فى صدره حتى أتى القوم • وأخـــذ يرقب القتال •• ثم عاد صائحا :

ـــ ألا أبشروا لقد استجاب الله لدعائكم ونصر النجاشى على عدوه ومكن له فى بلاده •

فتهللت أسارير أتباع رسول الله ﷺ •

وخرج النجاشى الى الحبشة • وصفوا له •• فقال :
ـــ يا معشر الحبشة • ألست أحق الناس بكم ؟
قالوا : بلى •
قال : فكيف رأيتم سيرتى ؟
قالوا : خير سيرة •
قال : فما لكم ؟
قالوا : فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد •
قال النجاشى : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟
قالوا : نقول هو ابن الله •
وضع النجاشى يده على صدره على قبائه وقال :
ـــ هو يشهد أن عيسى بن مريم •

ولم يزد النجاشى على هـــذا شـــيئا • وكان يعنى ما كتب • فرضى أهل الحبشة وانصرفوا •

فبعث جعفر ذلك الى رسول الله ﷺ • ففرح باسلام النجاشى •

ورجع النجاشى الى عرشه • واستوثق عليه أمر الحبشة • وكان المسلمون المهاجرون عنده فى خير منزل يمارسون دينهم راضين مستبشرين •

نظر زيد الى السماء •• ثم الى ظله •• ثم طلب من ثابت بن أقرم أن يؤذن لصلاة الظهر •

ولما قضى المسلمون صلاتهم •• واصل جيش المسلمين سيره •
وعاد جعفر الى رحلة ذكرياته ••

اشتغل أصحاب رسول الله ﷺ بالتجارة فى الحبشة • فكانوا ينطلقون الى اليمن يحضرون أسواقها ثم يعودون الى الحبشة بما اشتروا من أسواق صنعاء ونجران من سلع يبيعونها فى أسوم (عاصمة ارض الحبشة) أو فيما جاورها من البلاد • وكان خروجهم الى اليمن فى الشتاء ليلتقوا بالخارجين من مكة ليتنسموا أخبار نبيهم عليه الصلاة والسلام • أو ليختلوا ببعض المسلمين الذين خرجوا فى قافلة قومهم ليسمعوا منهم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من آيات بينات • وكان اجتماعهم بالقادمين من مكة يحرك فيهم الشوق الى البيت الحرام • وكان جعفر ابن أبى طالب اذا قرأ قوله تعالى « **لايلاف قريش • ايلافهم رحلة الشتاء والصيف • فليعبدوا رب هذا البيت • الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** » كانت تثير فى نفسه أعمق الحزن والألم فقريش التى من الله عليها بحرم آمن يأمن فيه الطير بينما يتخطف الناس حولها • قد اضطهدتهم حتى فروا بدينهم من سوء العذاب •• ! •

وكان المهاجرون المسلمون يمرون بكنيسة ابرهة التى بناها أفخم ما يكون البناء • وبعد أن انتهى من بنائها قال .

— انى قد بنيت للنجاشى كنيسة لم يبن مثلها أحد • ولست تاركا العرب حتى أصرف حجهم عن الكعبة اليها •

وكانوا يستشعرون عزاء وصبرا لما تذكروا ابرهة وقد ساق الفيلة والجيوش ليهدم البيت الحرام • ولكن الله صان بيته • كانوا ينظرون الى كنيسة ابرهة ويتلون قول الحق : « **بسم الله الرحمن الرحيم • ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل • ألم يجعل كيدهم فى تضليل • وأرسل عليهم طيرا أبابيل • ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم كعصف مأكول** » • كانت أفئدتهم تشرق بالأمل واليقين بأن نصر الله قريب •

وكانوا يمشون فى الأسواق يبيعون ويبتاعون • وكانوا يجلسون الى من يأنس اليهم من النصارى والوثنيين يعرضون عليهم الاسلام ويقرءون القرآن •

وكان الجدل يشتد بينهم وبين الرهبان الذين كانوا يعجبون من أين جاء هؤلاء المسلمين العلم والحكمة وقد كانوا لا يدرون ما الكتاب وما الايمان •• ؟

وكان عبيد الله بن جحش حديث عهد بالنصرانية قبل أن يدخل الاسلام • وكانت فكرة تجسيد الآلهة تستهويه أكثر من فكرة الاله الواحد الأحد الذى ليس كمثله شىء • وكانت خمور الكنائس المعتقة تبعث النشوة فى نفسه • وكان يختلف الى الرهبان ويمارس معهم صلواتهم • وذات يوم عاد الى زوجته أم حبيبة (رملة) بنت أبى سفيان وقال لها :

ـ انى نظرت فى هذا الدين فلم أر خيرا من دين النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت فى دين محمد ثم خرجت الى دين النصرانية •

فقالت له أم حبيبة وهى تحتضن ابنتها حبيبة : والله ما خير لك •

وأكب عبيد الله على الخمر يشربها • وأخـذ يمر على المسلمين فيقول :
ـ فقحنا وصأصأتم •

فيقول له أصحاب رسول الله ﷺ :
ـ والله لم تبصر واننا لا نتلمس البصر لقد خسرت الدنيا والآخرة •• وذلك الخسران المبين •
ومات عبيد الله نصرانيا ••

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتحسسون أخبار نبيهم عليه الصلاة والسلام•• ودات يوم عاد عبد الرحمن بن عوف من اليمن فسأل جعفر : أثم أنباء ؟

قال عبد الرحمن : لقد ضربت قريش حصارا حول النبى عليه الصلاة والسلام وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى شعب أبى طالب حتى أكلوا حشاش الأرض وأوراق الشجر • وكانوا قد كتبوا بذلك صحيفة فلا ينكحوهم ولا ينكحوا اليهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعون منهم شيئا ولا يقبلوا منهم صلحا حتى يسلموا اليهم النبى عليه الصلاة والسلام •

قال جعفر فى فزع : وهل أسلم بنو هاشم وبنو عبد المطلب رسـول الله ﷺ الى قريش ؟

قال عبد الرحمن بن عوف :

ــ لا •• فقد أخبر النبى عليه الصلاة والسلام عمه أبا طالب أن الله قد سلط الأرضة فلحست من الصحيفة التى علقوها فى الكعبة كل ظلم وجور ولم تترك الا اسم الله • فذهب أبو طالب وبعض شيوخ بنى هاشم الى أشراف قريش وقال لهم : ان ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى قط أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فلحست ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقى فيها ما ذكر به الله فان كان ابن أخى صادقا نزعتم عن سوء رأيكم وان كان كاذبا دفعته اليكم فقتلتموه أو استحييتموه فوافق سادة قريش وأحضروا الصحيفة •• ووجدوا فيها ما قاله رسول الله ﷺ حقا •

وكان لحس الأرضة للصحيفة الظالمة عملا هز وجدان كل مسلم •

قال جعفر : وهل أسلم أبى ؟

قال عبد الرحمن بن عوف :

ــ لا •• ولكن أسلم الطفيل بن عمرو شاعر اليمن • وهناك نبأ آخر •

تساءل جعفر : ما هو ؟

قال عبد الرحمن بن عوف : سخر النضر بن الحارث وأبو جهل وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط وقالوا : قد سخر محمد بأصحابه لما جعلهم يهاجرون الى الحبشة فى سبيل الله وهم كبير • فأنزل الله عز وجل على رسوله يوضح لهم ما أعد الله لنا « **بسم الله الرحمن الرحيم • والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون • الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** » •

نهض جعفر واقفا مكبرا :

ــ الله أكبر • الله أكبر •

وخيل اليه أن صوته بلغ آذان كل مهاجر فى الحبشة •

استشعر جعفر بن أبى طالب الظمأ فرفع اداوته الى فمه ••

وطار خياله الى الحبشة ••

وكان عبد الله بن جعفر أول مولود ولد للمسلمين فى الحبشة • واتفق أن النجاشى ولد له مولود يوم ولد عبد الله •• هذا •• فأرسل النجاشى الى جعفر وقال له : كيف سميت ابنك ؟

قال جعفر : سميته عبد الله •

فسمى النجاشى ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عميس مع ابنها عبد الله فكانا أخوين فى الرضاع •

وتوالت الأنباء الى الحبشة عن هجرة رسول الله ﷺ هو وأصحابه •• ثم غزوة بدر وهزيمة قريش ومقتل أعداء الله أبى جهل وعتبة وشيبة ابنى ربيعة وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وعقبة بن معيط و •• و •• و •• وأسر سهيل ابن عمرو ونوفل بن الحارث وأبى العاص بن الربيع و •• و •• و •• ثم أنباء أحد وعصيان الرماة أمر رسول الله ﷺ ••

وذات يوم بعث النجاشى الى أم حبيبة وجعفر بن أبى طالب وخالد بن سعيد وبقية أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فى الحبشة •• وقال النجاشى :

— لقد كتب الى رسول الله ﷺ كتابا مع عمرو بن أمية الضمرى لكى أزوج أم حبيبة النبى عليه الصلاة والسلام • وقد أصدقتها أربعمائة دينار •

لم يستطع جعفر أن يسيطر على مشاعره فقال :

— بشرك الله بخير أيها الملك •

وكلت أم حبيبة خالد بن سعيد •• فقام وقال :

— الحمد لله وأستعينه وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • أما بعد فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسوله •

ثم أراد القوم أن يقوموا فقال النجاشى :

— اجلسوا فان سنة الأنبياء عليهم السلام اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج •

ثم ركب جعفر بن أبى طالب وابنه عبد الله وأمه أسماء بنت عميس وأم حبيبة بنت أبى سفيان وعمرو بن أمية الضمرى وبعض أصحاب رسول الله ﷺ سفينة حتى قدموا مرفأ المدينة • فوجدوا النبى عليه الصلاة والسلام بخيبر • فأسرعوا اليه ففرح رسول ﷺ بمقدم ابن عمه جعفر بن أبى طالب ومن هاجر معه الى الحبشة وعانقه وهو يقول :

ــ لا أدرى بأيهما أنا أسر • بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟

وأسهم رسول الله ﷺ للعائدين من الحبشة (كانوا اثنين وخمسين) وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا الا لمن شهد معه ولأصحابه سفينة جعفر وأصحابه •• فقال بعض الناس :

ــ نحن سبقناكم بالهجرة •

ودخلت أسماء بنت عميس زوجة جعفر على حفصة زوج رسول الله ﷺ زائرة • فدخل عليهما عمر بن الخطاب فتساءل :

ــ من هذه ؟
قالت حفصة : أسماء •
قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟
قالت أسماء : نعم •
فقال عمر : سبقناكم بالهجرة • نحن أحق برسول الله ﷺ منكم •
فغضبت أسماء بنت عميس وقالت :

ــ كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا فى أرض البعداء البغضاء وذلك فى ذات الله وفى رسوله • وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ •

فلما جاء النبى عليه الصلاة والسلام ذكرت له ذلك •• فقال :
ــ ما قلت له ؟
قالت أسماء بنت عميس :
ــ قلت له كذا وكذا •

فقال رسول الله ﷺ :

ـ ليس بأحق بى منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان .

ولما هل ذو القعدة أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم عنها المشركون بالحديبية ، وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية الا من استشهد بخيبر أو مات ، وخرج مع النبى عليه الصلاة والسلام ألفان ، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفارى ، وساق رسول الله ﷺ ستين بدنة وأحرم لها من ذى الحليفة وحمل السلاح والدروع والرماح .

فقيل : يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا ألا ندخلها عليهم الا بسلاح المسافر ، والسيوف فى القرب ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح ولكن يكون قريبا منه ، فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا .

وارتفع صوتهم بالتلبية :

ـ لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وجاء مكرز بن حفص فى نفر من قريش الى رسول الله ﷺ فقال :

ـ والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت عليهم ألا تدخل الا بسلاح المسافر السيوف فى القرب ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ انى لا أدخل عليهم بسلاح .

قال مكرز : هو الذى تعرف به البر والوفاء .

وخرج سادات قريش من مكة حتى لا يروه ﷺ يطوف بالبيت هو وأصحابه • وقدم رسول الله ﷺ الهـدى أمامه فحبس بذى طوى • وخرج على راحلتـه القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون به يلبون وقد تدفقت المشاعر فى صدر جعفر بن أبى طالب وامتلأت عيناه بالدمع • لقد عاد الى أحب أرض الله له • الى أرض الذكريات التى كان يحلم بالعودة اليها منذ أن هاجر الى الحبشة •

ودخل رسول الله ﷺ على جمله الأحمر وقـد أخذ عبد الله بن رواحه بزمامه وهو يقول :

خلوا بنى الكفـار عن سـبيله	خلوا فكل الخـير فى رسـوله
يـا رب انى مؤمن بقيـله	أعـرف حق الله فى قبـوله
نحـن قتلنـاهم علـى تأويله	كمـا قتلنـاكم علـى تنزيله
ضربا يزيل الهـام عـن مقيلـه	ويذهـل الخليـل عـن خليـله

فقال له عمر بن الخطاب :

ـــ أيها يا ابن رواحة •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : يا عمر انى أسمع •

فسكت عمر وقال رسول الله ﷺ :

ـــ أيها يا ابن رواحة قل : لا اله الا الله وحده • نصر عبده • وأعز جنده • وهزم الأحزاب وحده •

وأطرق النبى عليه الصلاة والسلام تواضعا لله حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم • وقريش على جبل أبى قبيس تنظر فى عجب وحسرة • لا تصدق أن رسول الله ﷺ قد جاء بأصحابه يطوف بالبيت • وقال قائل منهم :

ـــ ان المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب •

فأطلع الله نبيه على ما قالوا •• فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أمرا أراهم من نفسه قوة •

وكشف عضده اليمنى ففعل الصحابة كذلك وراحوا يسعون بين الصفا والمروة • ثم أمرهم أن يرملوا « يهرولوا » الأشواط الثلاثة ليروا المشركين أن لهم قوة • فلما رأى المشركون المسلمين يهرولون قال بعضهم لبعض :

ــ هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم • انهم لينفرون نفر الظبى •

فلما كان الطواف السابع عند فراغه • وقد وقف الهدي عند المروة قال :

ــ هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر •

فنحر عند المروة وحلق هناك • وكذلك فعل أصحابه وأمر رسول الله ﷺ ناسا منهم أن يذهبوا الى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح ويأتى الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا •

وعاد النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه الى الكعبة ودخلها فلم يزل بها حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة • فخرج رسول الله ﷺ من الكعبة وأم الصحابة وقد اصطفوا خلفه •• ثم ذهب النبى عليه الصلاة والسلام الى قبته التى نصبها بالأبطح ليستريح • وجاء العباس بن عبد المطلب الى قبة رسول الله ﷺ ليطفىء نار الشوق وليرى ابنى أخيه جعفرا وعليا • ثم حدث العباس النبى عليه الصلاة والسلام بما حدثت برة بنت الحارث الهلالية أم الفضل زوجة العباس•

لقد حدثتها بأمنيتها أن تكون زوجة لرسول الله ﷺ • ليكون لبنى هلال شرف مصاهرة النبى عليه الصلاة والسلام كما نالت بنو تيم وبنو عدى وبنو أمية وبنو مخزوم وهوازن وبنو أسد وبنو المصطلق ذلك الشرف • فبعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبى طالب الى برة بنت الحارث ليخطبها • فلما خرج جعفر من عندها ركبت بعيرها وانطلقت الى حيث كان رسول الله ﷺ • فلما رأته صلوات الله وسلامه عليه قالت : البعير وما عليه لرسول الله •

وتحدث الناس عما فعلت برة •

ــ انها لم تستطع الانتظار فجاءت تهب نفسها لله ولرسوله •

وقد سماها عليه السلام ميمونة • وكثر الهمس • ووجد المنافقون فرصة للغمز وبذر بذور الاستياء فى قلوب المسلمين فأنزل الله تعالى على نبيه :

« وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من

دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما » .

وانقضت الأيام الثلاثة . فأقبل حويطب بن عبد العزى ونفر من قريش فقال :

ـ ناشدتك الله والعقد الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث .

فغضب سعد بن عبادة لما رأى من غلظ كلام حويطب فقال :

ـ كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا أرض آبائك . والله لا يبرح منها الا طائعا راضيا .

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : لا يا سعد لا تؤذ قوما زارونا فى رحالنا .

وأراد النبى عليه الصلاة والسلام أن يبنى بميمونة فى مكة فقال لحويطب بن عبد العزى ومن معه : انى قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم ان مكثت حتى أدخل بها وأصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا ؟

قال حويطب :

ـ لا حاجة لنا فى طعامك . اخرج عنا من أرضنا هذه الثلاثة قد مضت .

وهم سعد بن عبادة أن يتكلم وتأهب حويطب أن يرد عليه فأسكت النبى عليه الصلاة والسلام الفريقين . ثم أمر أبا رافع أن ينادى بالرحيل . وخلف أبا رافع ليأتى له بميمونة حين يمسى . وأخذ المسلمون يطوفون طواف الوداع . وينسحبون بظهورهم دون أن يولوا الكعبة الأدبار تعظيما لها . وكان فى الأعين دموع وفى القلوب غصص .

ولما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون من مكة . اختلف على بن أبى طالب وزيد بن حارثة وجعفر فى أيهم يكفل عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب .

قال زيد بن حارثة :

ـ أنا أحق بها لأنها بنت أخى وأنا وصيه (كان النبى عليه الصلاة والسلام قد آخى بين حمزة وزيد وجعل حمزة وصيه) .

قال على : أنا أحق بها لأنها بنت عمى وجئت بها من مكة •
قال جعفر بن أبى طالب :
ــ أنا أحق بها لأنها بنت عمى وخالتها تحتى •
فلما بلغ الأمر رسول ﷺ قال :
ــ الخالة بمنزلة الأم •

وهز الفرح جعفر فحجل حول النبى عليه الصلاة والسلام • فقال رسول الله ﷺ :

ــ ما هذا جعفر ؟

قال جعفر : يا رسول الله كان النجاشى اذا أرضى أحدا قام فحجل حوله •

وقدم رسول الله ﷺ الخالة فى الحضانة على العمة فقد كانت صفية بنت عبد المطلب موجودة وقال لعلى :

ــ أنت أخى وصاحبى أنت منى وأنا منك •
وقال لجعفر : أشبهت خلقى وخلقى •

وقال عليه الصلاة والسلام لزيد بن حارثة : أنت مولى الله ورسوله •

نزل جيش المسلمين معان من أرض الشام • وعلم زيد بن حارثة أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم • وانضم اليهم من لخم وجذام وألقين وبهراء وبلى مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى • وأقام المسلمون ليلتين فى معان •

وفكر زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة فى أمرهم وقالوا :

ــ نكتب الى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا فاما يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له •

فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال : يا قوم والله ان التى تكرهون • التى خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا عدة ولا كثرة • ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به • فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة •

قال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

فمضى جيش المسلمين .. وأخذ عبد الله بن رواحة يقول :

جلبنا الخيل من أجاء وفرع — تغر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا — أزل كأن صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان — فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات — تنفس فى مناخرها السموم

ولقى جيش المسلمين جموع هرقل فانحاز أصحاب رسول الله ﷺ الى مؤتة ونظر جعفر بن أبى طالب الى فرسان الروم على ظهور جيادهم وقد تألقت فى الشمس خوذاتهم وعكست دروعهم أشعتها . وقد رفع النسر الرومانى على رءوس الرماح يرفرف فى الهواء . فعاد بصره الى جيش المسلمين . ثلاثة آلاف يواجهون أعظم جيوش الأرض قاطبة ؟ الجيش الذى هزم الفرس وأعاد الصليب الى بيت المقدس ؟ يكفى الايمان الذى فى القلوب . ووعد رسول الله ﷺ ! .

تعبأ جيش المسلمين . فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عبادة بن مالك .

والتقى الجيشان . وقاتل زيد بن حارثة براية النبى عليه الصلاة والسلام .. حتى شاط فى رماح القوم . فأخذ جعفر بن أبى طالب الراية وقاتل بها . حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها . ثم قاتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها — طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها — كافرة بعيدة أنسابها
على اذا لاقيتها ضرابها

فقطعت يمينه فأخذ الراية بشماله فقطعت فاحتضن اللواء بعضديه .. حتى قتل .

قال رسول الله ﷺ :

— أثاب الله جعفر بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء .



سراقة بن مالك

ارتدى سوارى كسرى وحلته

جاءه دق على الباب : من ...؟

ــ أنا .. أنا سالم مولى أمير المؤمنين .

قال سراقة بن مالك : ماذا تريد ؟

قال سالم : طلب منى عمر بن الخطاب أن أذهب اليك يا سراقة .

تساءل سراقة : أمير المؤمنين .. يريدنى ؟

قال سالم : نعم يريدك فى أمر هام .

قال سراقة : ألا تعلم لماذا ..؟
هز سالم رأسه وقال : لا .. لم يخبرنى .

قال سراقة : سوف ألحق بك .

قال سالم : لا تتأخر يا ابن مالك .

قال سراقة : سأرتدى عباءتى وألحق بك .. ان شاء الله .

وقف حائرا . ماذا يريد ابن الخطاب ؟ ما هذا الأمر الهام الذى من أجله أرسل فتاه فى طلبه ؟ هل تشكاه أحد الى أمير المؤمنين ؟ هل بدر منه شىء ؟ أأساء الى أحد ؟ لم يتذكر أنه ...!

أقبلت زوجته .. تساءلت :
ــ ما بك يا ابن مالك ؟
قال سراقة : أرسل أمير المؤمنين فى طلبى . ولا أعرف لماذا .. ؟
قالت زوجته : لقد انتصر جيش المسلمين على جيوش كسرى و ..
قال سراقة : ماذا تقولين ؟ انتصر المسلمون على الفرس ؟
قالت زوجته : نعم .

انثالت الذكريات فى رأسه . تذكر يوم أن خرج فى أثر محمد بن عبد الله ﷺ وهو فى طريق هجرته الى المدينـــة فرارا من قريش . كان يوم الاثنين . وجد سراقة الوليد بن المغيرة وعمرو بن هشام وأبا سفيان بن حرب وأميـــة بن خلف وعقبة بن أبى معيط والعاص بن وائل جالسين أمام دار الندوة والشرر يتطاير من عيونهم . فسألهم : ماذا بكم ؟

قالوا : فلت محمد من أيدينا .
تساءل سراقة : كيف .. ألم يقف فتيانكم أمام داره ؟

قالوا فى حسرة :

ـــ مر بفتياننا وذر على رءوسهم التراب ولم يبصروه .
قال سراقة : خاب فتيانكم وخسرنا .

قال أبو الحكم بن هشام : سنجعل فى محمد مائة ناقة لمن يرده علينا .. أو يقتـــله .

قال سراقة فى ذهول : مائة ناقة ؟
قال عمرو بن هشام :
ـــ نعم يا سراقة .. مائة ناقة .

وبينما هو جالس فى نادى قومه بنى مدلج اذ أقبل رجل منهم وقف عليهم وهم جلوس .. ثم قال :

ـ والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفا وانى لأراهم محمدا وصاحبيه .

وفطن سراقة بالأمر . وأراد أن يكون الظفر له . وحلم بأن يصـــبح من بطون مكة بعد أن عرف أنهم هم . فأومأ بعينيه .. وهمس :

ـــ انهم ليسوا بهم .. انما هم بنو فلان يبغون ضالة لهم .
فسكت الرجل .

ومكث سراقة قليلا .. ثم دخل خباءه . وقال لجاريته :
ـــ اخرجى بالفرس وراء الخباء . وسألحق بك وراء الأكمة .

ثم أخذ رمحه وخرج من ظهر بيته حتى لا يراه أحد • وذهب الى الأكمة • وركب فرسه •• وأدركه صوت من أعلى الجبل :

— يا سراقة ••
قال سراقة : ما وراءك يا مربع ؟
قال مربع : لقد رأيت محمدا وابن قحافة وعبد الله بن أريقط بالساحل •
قال سراقة فى فرح : لقد ربحت المائة ناقة يا سراقة •
تساءل مربع : وأنا •• ما مكافأتى ؟
قال سراقة : سوف أعطيك عشر ناقات •
جاءه صوت زوجته :
— ها هى عباءتك •• ارتديها واذهب الى أمير المؤمنين •

دنا سراقة من محمد ﷺ وصاحبيه فعثرت به فرسه فخر عنها فقام وأهوى يده الى كنانته فاستخرج منها الأزلام فاستقسم بها • فخرج السهم الذى يكرهه •• لا يضره •• فلم يأبه وركب فرسه وانطلق فى أثره • فلما بدا له القوم ورآهم عثر فسقط عنها • وقال لنفسه : ما هذا ؟ ثم أخرج الأزلام واستقسم بها فخرج الذى يكره • فركب فرسه حتى اقترب من القوم وسمع قراءة محمد ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات • وساخت يدا فرس سراقة فى الأرض حتى بلغتا الركبتين وسقط عنها • ثم ركبها وزجرها فنهضت فلم تكد تخرج يديها • فلما استوت قائمة اذا لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان • فاستقسم بالأزلام فخرج الذى يكره • فعرف حين رأى ذلك أن محمدا — عليه الصلاة والسلام — قد منع منه • فنادى القوم بالأمان :

— قفوا •• أنا سراقة بن مالك بن جعشم •
سأله عبد الله بن أريقط : ماذا تريد ؟

قال سراقة :
— أنظرونى لا أوذيكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه •

قال محمد ﷺ لأبى بكر :
— قل له ماذا تبغى ؟
قال سراقة : أنا سراقة بن مالك •• أنظرونى أكلمكم •
قال عبد الله بن أريقط : تكلم •

قال سراقة : اشفع لى عند محمد •
قال ابن أريقط :
ــ وتحفظ العهد ؟
قال سراقة : نعم •

قال أبو بكر :
ــ ان رسول الله قد دعا لك •

فركب سراقة حتى جاءهم •• ثم قال :
ــ ان قومك قد جعلوا فيك الدية لمن قتلك أو أسرك •
قال محمد ــ عليه الصلاة والسلام : اخف عنا •

قال سراقة :
ــ يا محمد أنى لأعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى أنى اذا أتيتك يوم ملكك فأكرمنى •

فأمر محمد ﷺ عامر بن فهيرة فكتب لسراقة رقعة من أدم • ثم ألقاها اليه • ولما أراد الانصراف • قال محمد ﷺ :

ــ كيف بك يا سراقة اذا تسورت بسوارى كسرى ؟
قال سراقة فى دهش : كسرى بن هرمز ؟
قال محمد ــ عليه الصلاة والسلام : نعم •

يومها تملكته الحيرة • كيف يهرب محمد ﷺ من قومه ليس معه الا أبو بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط • وقد جعلت قريش مائة من الابل لمن يأسره أو يعود اليهم برأسه • كيف يتحدث عن المستقبل فى ثقة الواثق ••؟ كيف يعده بسوارى كسرى شاهنشاه الفرس الذى أذل هرقل امبراطور الروم ؟

ورجع سراقة الى مكة • وجعل لا يلقى أحدا من الطلب الا رده وقال :
ــ كفيتم هذا الوجه •

لقد كان أول النهار جاهدا على محمد ﷺ وآخره حارسا له • ولما علم سراقة أن محمدا ــ عليه الصلاة والسلام ــ قد وصل المدينة جعل يقص على

الناس ما رآه وما شاهده من أمر النبى ﷺ وما كان من قصة جواده • وذاع هذا فى مكة فخشى أشراف قريش معرته • وخشوا أن يكون ذلك سببا فى اسلام كثير منهم •

فكتب أبو الحكم الى بنى مدلج يهجو أميرهم ورئيسهم :

بنى مدلج انى أخاف سفيهكم   سراقة مستغو لنصر محمد
عليكم به ألا يفرق جمعكم   فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

فقال سراقة ردا على أبى جهل :

أبا الحكم والله لو كنت شاهدا   لأمر جوادى اذ تسوخ قوائمه
عجبت ولم تشك بأن محمدا   رسول وبرهان فمن ذ يقاومه
عليك فكف القوم عنه فاننى   أخال لنا يوما ستبدو معالمه
بأمر تود النصر فيه فانهم   وان جميع الناس طرا مسالمه

ويوم بدر قاتلت قريش بعددها وعدتها لتستأصل شأفة محمد ﷺ • وأصحابه • وراح المسلمون وقريش يقتتلون • ونظر سراقة بن مالك الى أصحاب محمد — عليه الصلاة والسلام — فاذا به يرى الموت يطل من أسيافهم وهم يتلمظون تلمظ الحيات فانخلع قلبه • وأدرك أنه يقاتل فى سبيل الضلال • فنكص على عقبيه •

فقال له حنظلة بن أبى سفيان : يا سراقة أتزعم أنك لنا جار ؟

قال سراقة : انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون • انى أخاف الله والله شديد العقاب •

فتشبث به الحرث بن هشام أخو أبى الحكم وقال له : والله انى لا أرى الا خفافيش يثرب •

واذا بسهم ينفذ من صدره فيسقط • وينفلت سراقة وبعض من معه من المعركة • فخشى أبو جهل أن يفت ذلك فى عضد قريش وقال : يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة

وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فانهم قد عجلوا • واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال • لا تقتلوهم • خذوهم باليد •

وقتل أبو جهل و •• لحقت بقريش الهزيمة • وأخذت تتحدث عن تقويض القوة المتقدمة والخيل والعتاد أمام قله لا خيل لها • والقوة الخفية والرجال البيض على خيل بلق تقاتل مع محمد ﷺ وأصحابه •

قالت زوجة سراقة :

— الى متى ستقف شاردا يا ابن مالك ؟ لم لا ترتدى ثيابك وتذهب الى ابن الخطاب ؟

ارتدى سراقة عباءته ••

وعاد محمد ﷺ الى مكة بجيش لم تر أم القرى مثله • وطهر البيت من الأصنام وصفح وتسامح حتى عن الذين آذوه وأخرجوه •• ثم سار الى هوازن لما علم بخروجهم لقتـــاله • وهزمهم ففروا الى الطائف • ولما انصرف محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه عن الطائف • ورجع الى الجعرانة أسرع سراقة ابن مالك اليه • ولكن جنده وقفوا فى وجهه •• وقالوا له : من أنت ؟ ماذا تريد ؟

قال سراقة : أنا سراقة بن مالك بن جعشم • لى حاجة ألتمسها اليه •
فلما رأوا فى يده الأديم قالوا : انتظر حتى نفرغ من صلاتنا •

يومها أخذ ينظر الى أصحاب محمد ﷺ وهم يقفون فى صـــفوف • وقال لنفسه : يا له من مشهد عجيب • يقفون فى ثبات وطمأنينة وخشوع ؟ من كان منا يجل آلهته كما يجل هؤلاء ربهم ؟ كيف كسب محمد — عليه الصلاة والسلام — حب أصحابه ؟ ان لهذا الرجل لسحرا •• ما هو ؟ ما الذى منعه منك يا سراقة يوم أن خرجت فى أثره لتربح المائة ناقة ؟ هل كان الرجال البيض على خيـــل بلق •• الملائكة ؟

ورأى سراقة محمدا ﷺ • فقال وهو يضع الكتاب الذى كتبه له عند هجرته بين اصبعيه : يا محمد •• هذا كتابك لى • أنا سراقة بن مالك بن جعشم •

قال محمد — عليه الصلاة والسلام : هذا يوم وفاء ومودة •• ادنوه •

فأدنوه منه • وساق اليه الصدقة • فلما رأى سراقة بره وكرمه نطق بشهادة الحق •• ثم سأله : يا رسول الله هل لى أجر عن الضالة من الابل التى ترد حوضى الذى أملاه لأبلى ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم •• فى كل ذات كبد حراء أجر •

قالت زوجته : أنسيت موعدك مع أمير المؤمنين يا ابن مالك ؟

تبسم سراقة وغادر داره •

ورأى سراقة جمعا حول عمر بن الخطاب •• فقال : السلام عليكم يا أمير المؤمنين •

قال عمر : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته •• تقدم يا سراقة •

قال سراقة : لقد أرسلت الى ••

قال أمير المؤمنين : كيف بك يا سراقة لو تسورت بسوارى كسرى ؟

قال سراقة فى عجب : أنا أجعل سوارى كسرى فى يدى ؟

قال عمر : ألم يعدك الصادق الصدوق بسوارى كسرى ••؟

قال سراقة : نعم •

قال أمير المؤمنين : ها هما • وقل الله أكبر • الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك اعرابى من بنى مدلج •

نظر سراقة الى السوارين المتألقين فى يديه حتى بلغا منكبيه • فغطت وجهه دسمة • لقد صدق رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة الى المدينة وتحدث عن المستقبل فى ثقة ويقين بنصر الله •

نزع سراقة السوارين من يديه • وقدمهما الى عمر •• وقال : لقد وفيت يا أمير المؤمنين • وانى أتصدق بسوارى كسرى ليجهز بهما جيش المسلمين •



الحارث بن هشام

من الشرك الى الايمان

ركب فرسه وانطلق عائدا الى فسطاط خالد بن الوليد . فلما رآه خرج للقائه .. وقال : ما وراءك يا أبا عبد الرحمن ؟

قال الحارث بن هشام : نزل جيش الروم عند اليرموك .

قال خالد بن الوليد : كيف لى بطريق أخرج فيه من وراء جمع الروم فانى ان استقبلتها حبستنى عن غياث المسلمين .

قال رافع بن عميرة : لا نعرف الا طريقا لا يحمل الجيوش يأخذه الفرد الراكب . واستكثروا من الماء . من استطاع منكم أن يصر أذن ناقته على ماء فليفعل فانها المهالك الا ما دفع الله .

قال خالد بن الوليد : ان رسول الله ﷺ سلك طريقا وعرا يوم أن جاء معتمرا الى الحديبية .

قال القعقاع بن عمرو : لا يختلفن هديكم ولا يضعفن واعلموا أن المعونة تأتى على قدر النية والأجر على قدر الحسنة وأن المسلم لا ينبغى له أن يكترث بشىء يقع فيه مع معونة الله له .

قال رافع بن عميرة : احملوا معكم ماء يكفيكم للشرب . وعلى كل صاحب خيل أن يحمل بقدر ما يكفيها .

قال عياش بن أبى ربيعة : يا رافع أنت رجل قد جمع الله لك الخير . ربنا عليك توكلنا واليك المصير .

وسار جيش المسلمين الى اليرموك .

وطار خيال الحارث بن هشام الى مكة ...

قابل عثمان بن عفان يوما فقال له : أسمعت بدعوة محمد بن عبد الله ؟

قال عثمان : وآمنت بها .
قال الحارث : أخشى أن ...

قال عثمان : أتخشى على من أمانة وصدق رسول الله أم من شجاعته ورجاحة عقله وكريم خلقه ؟

قال الحارث : بل أخشى عليك من أفكاره وآرائه .

قال عثمان : يا أبا عبد الرحمن أنت رجل دنيا ومتاع . فلو جلست الى نبى الله وسمعت .

قال الحارث : لقد جلست اليه .
قال عثمان : هل طلب منك أن تسلم ؟

قال الحارث : لا .. ولكن ألا يدعى أنه رسول الله للناس كافة ؟ كيف أترك دينى ودين آبائى وأتبع دينا يسوى بين السيد والعبد ؟ كيف أصير تابعا بعد أن كان متبوعا لى الأمر ؟ لقد سفه محمد أحلامنا وسب آلهتنا . انها لفتنة يحدثها . بل بدعة يحدثها فى العرب .

وحزن الحارث بن هشام يوم أن علم أن أبا سلمة المخزومى قد أسلم وأخذ يلقى اللوم على أبى سفيان بن حرب فقال : كيف انقادت ابنتك رملة وزوجها عبيد الله بن جحش وآمنا بدين محمد ؟ لقد جاء ابن عبد الله بهذا الدين لينتزع الزعامة من سادة قريش .

واستشعر الحارث مرارة الخزى والعار لما دخلت دعوة محمد داره وأسلم عياش بن أبى ربيعة أخوه لأمه والوليد بن الوليد بن عمه . فانطلق الحارث الى يثرب هو وأخوه أبو الحكم بن هشام ليعودا بعياش فقد أقسمت أمه ألا تستظل بظل أو تضع مشطا فى رأسها حتى يعود اليها ابنها فخدعاه وعادا به مقيدا الى مكة نهارا وقال أبو الحكم : يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هكذا .

وألقى به فى محبس لا سقف له مع هشام بن العاص مكبلين فى الحديد وأذاقوهم سوء العذاب ولكنهما لم يفتنا .

وقف جيش المسلمين فوق جبسٌ سطل على ساحة واسعة ثم تضيق عند نهايتها ••

عادت الى رأس الحارث بن هشام صورة ضمضم بن عمرو الغفارى يوم أن وقف ببطن الوادى وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يصيح : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها • الغوث الغوث •

فقال أبو الحكم والحارث ابنا هشام وعقبة بن أبى معيط وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب والنضر بن الحارث وسهيل بن عمرو وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدى يحثون القوم على الخروج والقضاء على محمد ودعوته • وخرجت قريش بعدتها وعتادها • وخرج عتبة بن ربيعة وأمية بن خلف وحكيم ابن حزام وأبو العاص بن الربيع والعباس بن عبد المطلب كارهين • وما كان أحد ممن خرج الى العير أكره للخروج من الحارث بن عامر فقال : ليت قريش تعزم على القعود وان مالى فى العير تلف ومال بنى عبد مناف أيضا •

قال الحارث بن هشام : انك سيد من ساداتها فاذا تخلفت عن النفير يعتبر بك غيرك من قومك •

وقبل أن يبلغ جيش قريش بدرا رجع ضمضم الغفارى وأعلن أن أبا سفيان قد أحرز عيره وفر من أيدى المسلمين المتربصين به • فقال الأخنس بن شريق : يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله واجعلوا بى حميتها وارجعوا •

ورجع بمن كانوا معه من بنى زهرة وكانوا المائة •

ورغب عتبة بن ربيعة وأمية بن خلف وحكيم بن حزام فى العودة الى مكة ولكن أبا الحكم قال : والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم ثلاثة أيام فلا بد أن ننحر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان بالمعازف وتسمع بنا العرب وبمسيرتنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها •

ثم طلب من عمير بن وهب أن يحرز جيش محمد فانطلق بفرسه •• ثم رجع فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا •

فقال عقبة بن أبى معيط · للقوم مدد أو كمين ؟

قال عمير : أمهلونى حتى أنظر .

فذهب فى الوادى .. ثم رجع وقال : ما رأيت شيئا ولكن رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا . ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعى لا يريدون أن ينقلبوا الى أهليهم والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك .

وصادف هذا القول هوى فى نفوس عتبة بن ربيعة وأمية بن خلف وحكيم بن حزام وهموا بالرجوع الى مكة لكن أبا الحكم بن هشام قال : والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم .

ونشب القتال فقتل عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة .

واقتتل الجيشان . ونظر سراقة بن مالك الى المسلمين فاذا به يرى الموت يطل من أسيافهم ورماحهم وهم يتلمظون تلمظ الحيات فوقع الرعب فى صدره فنكص على عقبيه .

فقال الحارث بن هشام : يا سراقة أتزعم أنك لنا جار ؟

قال سراقة : انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب .

وفر سراقة هو ومن معه .

وكبر أحد المسلمين · الله أكبر .. لقد قتل عدو الله أبو جهل .

ودارت الدائرة على قريش . وملأت جثث القتلى أرض القتال . ففر الحارث بن هشام وحكيم بن حزام وعكرمة بن أبى الحكم .

نظر المسلمون الى جيش الروم الذى يسد وجه الشمس فتسلل الخوف الى نفوسهم . وأدرك خالد بن الوليد ما يجول بصدورهم فقال : **« يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »** .

قال البعض : انهم أكثر منا ست مرات •
قال عياش بن أبى ربيعه : لا عبرة بالعدد •
قالوا : ان الحرب عدد وعدة •
قال الحارث بن هشام : وأين الايمان بالهدف الذى يملأ قلب صاحبه ؟

وتلاشت ظلال الخوف وحل محلها بريق الاصرار فى العيون •• أما نصر واما شهادة •

وتذكر الحارث بن هشام •• عقب هزيمة بدر قال خالد بن الوليد : النظرات تلاحقنى فيها الشماتة بى والرثاء لحالى والعطف على •

قال الحارث بن هشام : وليس أقسى على نفس الحر من أن يشمت به عدو أو يرثى لحاله صديق •

قال خالد : لعلنا نصل الى حل لما نحن فيه الآن •

قال الحارث : لم لا نجتمع فى دار الندوة لنتشاور مع سادة مكة ؟
قال خالد : أن منهم من يشغله المال ومنهم من يشغله اللهو واللعب •

قال الحارث : ومنهم من يحسن الكلام فاذا ما جد الجد أصابه العى وربما عجز عن مجرد الكلام •

قال خالد : فما ترى ما نحن فيه ؟

قال الحارث : هناك رأيان •• أما أحدهما فيقول : ان ما حاق بنا يوم بدر عار لاشك فيه وسيظل الناس يذكرونه ولكن حتى حين •• ثم ينسونه •• وأما الرأى الثانى فانه يسلم بهذا ولكنه يتساءل •• الى متى سيظل الناس ذاكرين لما كان يوم بدر ؟ ولا يستبعد أصحاب هذا الرأى أن يطول بمكة الأمد حتى تنسى •

قال خالد : ونظل محل النظرات الشامتة والساخرة والرثاء لحالنا •

قال الحارث : لذا يرى أصحاب هذا الرأى وأنا منهم أن ننتقم من أتباع محمد بمكة •

قال خالد : يبدو أنك قد نسيت أن بأيديهم رجالا كثيرين من رجالنا وقعوا فى الأسر •

قال الحارث : ان انتقمنا منهم هنـا •• أينتقمون من رجالنا هناك ؟ هـذا مما يزيد من حقد الناس على محمد ودعوته • ويشعل من نار الحقد والكراهية له •

قال خالد : لكنه لن يشفى ما بصدورنا من غل الا أن نثأر ليوم بدر بيوم تكون فيه الغلبة لنا •• وتثأر لأخيك أبى الحكم بن هشام •

قال الحارث : منذ أن قتل أخى أبى الحكم وأقسمت بكل اله عبدته العرب أن أثأر له •• ولكن المتناومين من سادة مكه •• ؟

قال خالد : علينا أن نثير نخوتهم بكل لاذع القول لعلهم يفيقون قبـل أن يصحوا على جلبة محمد وأتباعه مهللين مكبرين فى شعاب مكة واوديتها •• بل فى ساحة الكعبة •

وشبب كعب بن الأشرف فى شعره بأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب وهدد بالتشبيب بنساء أتبـاع محمد •• ورحبت قريش بكعب وشـعره • وقابل الحارث بن هشام خالد بن الوليد فقال خالد :

ـ أترى بالشعر وحـده نستطيع أن نثأر من أتباع محمـد ؟ هـذا ما أنا فى شك منه •

قال الحارث : ان من أبيات الشعر ما دون أثره السم الزعاف •

قال خالد : ومن آيات القرآن ما يعدل ألف معلقة ومعلقة •

قال الحارث : أيأس هو ؟

قال خالد : بل عقل أحكمه فيما أرى وأسمع • ألا ترى عياش بن أبى ربيعة وهشام بن العـاص لا يزيدهما المحبس وذل القيـد وسوء التنكيل والتعـذيب الا اصرارا على ما هما عليه وتمسكا به ؟

قال الحارث : هذا صحيح ولكن •••

قال خالد : ولكن .. أثم كلام بعد أن سمعت ورأيت يوم بدر ؟ أقسم أنى حتى هذه الساعة لا أصدق ما حدث أتدرى كم كان عددهم وكم كان عددنا ؟ أتعرف ماذا كان أمر عدتهم وعتادهم ؟ ما أمسكوا به سلاح لا يقارن بما حشدنا لهم من أسباب الهول .

وأقبل عمير بن وهب نحوهما فقال خالد بن الوليد :
ـ عجيب أمرك يا عمير ألا تحيينا ؟

قال عمير : بأى تحية أحييكما ؟ أما تحية الشرك فلا أرضاها منذ أن أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . وأما تحية الاسلام فلا تصادف هوى فى نفوسكما .

قال خالد : فآثرت السلامة ولم تحى .
قال عمير : بل رفعت لنفسى قدرها ونزهت تحية الاسلام عن أن توجه الى مشركين .

قال الحارث : فهل تخلى بيننا وبين ما نعبد على أن نخلى بينك وبين ما تعبد ؟
قال عمير : ما هكذا علمنى رسول الله ﷺ . لقد علمنى أن أقاوم المنكر آن أراه بيدى فان لم أستطع فبلسانى فان لم أستطع فبقلبى .

وخرج جيش قريش ليثأر ليوم بدر .

قال الحارث بن هشام : ليعلمن محمد وأصحابه أن قريشا تعرف طريقها الى ما تريد .

قال صفوان بن آمية :
ـ بل ينبغى أن تعرف العرب أن قريشا ماتزال كالعهد بهـا نها الصدر دون العالمين .

قال أبو سفيان بن حرب :
ـ ما أسهل القول لمن رامه وما أصعب الفعل على من أراد .
قال عكرمة بن أبى الحكم : أضعف وخور هو يا أبا سفيان ؟

قال أبو سفيان : بل أخشى أن يصيبكم الغرور •• فشر ألوان الهزيمة ماداهم المرء من داخله • فانى أخشى أن تعجبكم كثرتكم ويحدث ما حدث يوم بدر •

والتقى الجمعان • وسقط لواء قريش على الأرض وولى فرسان قريش •• ولكن الحارث بن هشام لم يفر كما فر يوم بدر • كان يريد أن يشفى ويستشفى لمقتل أخيه أبى الحكم •• ورأى رماة المسلمين فوق جبل أحد اخوانهم ينتهبون عسكر قريش فانطلقوا اليهم ينتهبون وخلوا الجبل ••

فقال الحارث بن هشام لضرار بن الخطاب : انظر الى الجبل •

فأسرعا الى خالد بن الوليد •• فكروا بالخيل وتبعهم عكرمة الى موضع الرماة •• وحمل جيش قريش على محمد وأصحابه • فاختلط المسلمون وصاروا يقتتلون ويضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بما يصنعون من الدهش • وقتل حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير حامل لواء المسلمين •• وصرخ ابن قميئة : قتل محمد •

فأسرع أبو سفيان • ووقف على أصحاب محمد وهم فى عرض الجبل فنادى بأعلى صوته :

— أين ابن أبى قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ الحرب سجال حنظلة بحنظلة •• اعل هبل •

فقال عمر بن الخطاب : الله أعلى وأجل •
قال أبو سفيان : ان لنا العزى ولا عزى لكم •

قال عمر بن الخطاب : الله مولانا ولا مولى لكم •

قال أبو سفيان : ألا ان الأيام دول وان الحرب سجال •

قال عمر : ولا سواء • قتلانا فى الجنة وقتلانكم فى النار •

قال أبو سفيان : انكم لتقولون ذلك •

ثم قال أبو سفيان : هلم الى يا عمر •
فجاءه عمر فقال أبو سفيان :
— أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا ؟

قال عمر : اللهم لا • انه ليسمع كلامك الآن •
قال أبو سفيان : أنت عندى أصدق من ابن قمئة •

ثم صاح أبو سفيان : انكم واجدون فى قتلاكم عبثا ومثلا • الا أن ذلك لم يكن رأى سراتنا •

ثم أدركته حمية بنى مخزوم فقال : وأما اذا كان ذلك فلم نكرهه •
ولوى عنق فرسه • ثم نادى :
— ان موعدكم بدر للعام القابل •
فقال عمر : نعم هو بيننا وبينكم موعد •

وقف جيش المسلمين وجها لوجه أمام أكثر من مائة وخمسين ألفا من جيش الروم ••

وتذكر الحارث بن هشام يوم أن جاء محمد من المدينة ومعه أصحابه معتمرين فلما علمت قريش بمقدمهم استنفرت من أطاعها من الأحابيش وثقيف وقد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذى طوى وقد عاهدوا الله ألا يدخلها محمد عليهم أبدا • ولكن محمدا سلك طريقا ونزل بالحديبية • فلما بلغ ذلك سادة قريش فأرسل سهيل بن عمرو بديل بن ورقاء الخزاعى ومكرز بن حفص والحليس بن علقمة سيد الأحابيش ثم عروة بن مسعود الثقفى الى محمد فقال لهم : انا لم نأت لقتال ولكن جئنا معتمرين •

واتفق سادة قريش على ألا يدخل محمد مكة أبدا •

ثم جرى الصلح بين سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص فقد كان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وكثير من سادة قريش فى سوق بصرى فى تجارة قريش • وبين محمد ••

وتم الاتفاق على ألا يدخل المسلمون مكة هذا العام ويعودوا من حيث أتوا العام القابل • وعلى أن تخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يطوفون فيها بالبيت الحرام • وعلى أن يحملوا معهم سلاح الراكب السيوف فى القرب • وعلى أن يتهادن الطرفان ويكفا عن الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس • وأن من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم

دخل فيه فدخلت خزاعة فى عقد محمد ودخلت بنو بكر فى عقد قريش . ونامت العداوة التى كانت بين قريش والمسلمين . فرأت بنو بكر أن تستعين بقريش للثأر من خزاعة . فمشى بعض سادة بنى بكر الى أشراف قريش يسألونهم أن يمدوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم برجال خرجوا مستخفين فيهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبى الحكم وشيبة بن عثمان وظنوا أنهم لم يعرفوا . وهبرت سيوف بنى بكر خزاعة وكان أهلها آمنين . وذاع فى مكة أن صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة وسهيل وشيبة قد اشتركوا مع بنى بكر فى الغدر بخزاعة . فخشيت قريش أن يبلغ ذلك محمد فمظاهرتهم لبنى بكر نقض صريح للعهد الذى كتب بينهم وبين محمد . وقد يهيج ذلك الحدث المسلمين ويحركهم للسير الى مكة . فندموا على ما فعلوا . وأسرع الحارث بن هشام الى أبى سفيان بن حرب وقال له :

ــ كيف يشهد سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى على كتاب عقداه مع محمد ويظاهرا بنى بكر على نقض ما جاء فى الاتفاق معه ؟

قال أبو سفيان : يا أبا عبد الرحمن هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وانه لشر . والله ليغزونا محمد . ولقد حدثتنى هند بنت عتبة أنها رأت رؤيا كرهتها . رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة .

فكره الحارث ذلك وقال :

ــ مالها سواك يا أبا سفيان . اخرج الى محمد فكلمه فى تجديد العهد وزيادة المدة .

فخرج أبو سفيان ومولى له على راحلتين .. ثم عاد بالليل . فلما أصبح الصبح حلق أبو سفيان رأسه عند اساف ونائلة وذبح عندهما ومسح رأسيهما بالدم فلما رأته قريش قالوا :

ــ ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟

قال أبو سفيان : لا والله لقد أبى على وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك أطوع منهم له .

قال الحارث بن هشام : ماذا قلت لمحمد وأصحابه ؟

قال أبو سفيان : جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيئا • ثم جئت الى ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أعدى العدو • ثم جئت على بن أبى طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشىء صنعته • فوالله لا أدرى أيغنى عنى شيئا أم لا ؟

قال الحارث بن هشام :
— بم أمرك ؟

قال أبو سفيان :أمرنى أن أجير بين الناس • قال لى : لم لا تلتمس جوار الناس على محمد ولا تجير أنت عليه وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها ألا يخفر جوارك • ففعلت •

قال الحارث بن هشام :
— فهل أجاز لك ذلك محمد ؟
قال أبو سفيان : لا وانما قال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة • والله لم يزدنى •

وأحس الحارث وسادة قريش أن ابن أبى طالب قد سخر من أبى سفيان فقالوا :

— رضيت بغير رضا وجئت بما لا تغنى عنا ولا عنك شيئا •
فقال أبو سفيان : والله ما وجدت غير ذلك •

أخذ خالد بن الوليد يعد جيشه لمعركة فاصلة مع الروم ••

وعاد الحارث بن هشام بخياله لما دخل محمد بجيشه مكة •• يومها أقبل أبو سفيان بن حرب على راحلته يصرخ بأعلى صوته :

— يا معشر قريش • هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فقامت اليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه وقالت :

— اقتلوا الخميث الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم •
قال أبو سفيان : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاء بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن •

قالوا : قاتلك الله وما تغنى عنا دارك ؟

قال أبو سفيان : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن .

فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد .

وملأ الرعب صدر الحارث بن هشام . فقد بلغه أن محمدا أهدر دمه . أين يفر من محمد وأتباعه ؟

وضاقت عليه الأرض بما رحبت . وقفز الى ذهنه أن يحتمى بالكعبة . فدين محمد يحرم القتال فى المسجد الحرام . فأسرع الحارث الى الكعبة وتعلق بأستارها وهناك وجد عبد الله بن أبى السرح وعبد الله بن خطل والحويرث بن نفيل ومقيس بن صبابة وهبار بن الأسود بن أبى أمية وكعب بن زهير وقد أمر محمد بقتلهم . ولما زلزل تكبير وتهليل المسلمين جبال مكة . أدرك الحارث بن هشام أن محمدا قد دخلها ففر هو وزهير بن أبى أمية الى دار أم هانىء بنت أبى طالب فاستجارا بها فأجارتهما . فدخل عليها فارس مدجج فى الحديد وهى لا تعرفه ثم أسفر عن وجهه فاذا هو أخوها على . وحين رأى الحارث وزهير بن أبى أمية شهر سيفه عليهما . فألقت أم هانىء عليهما ثوبا وقالت :

ـ أخى بين الناس تصنع بى هذا ؟ قد أجرتهما .

قال على : تجيرين المشركين ؟

وهم بهما مرة أخرى فحالت أم هانىء دونهما وقالت : لا والله وابتدىء بى قبلهما .

وخرج على فأغلقت عليهما بيتهما وقالت : لا تخافا .

كان الحارث بن هشام وزهير بن ابى أمية أقارب زوجها هبيرة بن أبى وهب المخزومى .

وجاءت أم هانىء محمدا فرحب بها ثم سألها : ما جاء بك ؟

قالت أم هانىء : ماذا لقيت من ابن أمى على ؟ ما كدت أفلت منه . أجرت حموين لى من المشركين الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية فتفلت عليهما ليقتلهما .

فقال محمد : ما كان ذلك له . وقد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت .
وأعلن محمد ذلك بين الناس :
ــ لا سبيل اليهما قد أجرناهما .

وسار الحارث بن هشام فى مكة آمنا مطمئنا . لم يكن يخشى الا بطش عمر بن الخطاب . ولكن عمر كان يمر عليه وهو جالس فلا يتعرض له فيستشعر راحة . ولقيه محمد فى المسجد بالبشر وسلم عليه ولم يترك يده حتى ترك الحارث يده . وأحس بالخجل يغمره . لقد آذاه أشد الأذى وكاد للاسلام والمسلمين بعد مقتل أخيه أبى الحكم فى بدر .. وصفح عنه محمد وأجاره لأن أم هانىء أجارته . وقال لنفسه :

ــ « أية سماحة هذه ؟ وأى خلق هذا ؟ » .
وأمر محمد بلالا أن يؤذن ...

وجلس أبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام بفناء الكعبة قال عتاب بن أسيد :

ــ لقد أكرم الله أبى أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه .
قال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته .
فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا .
سأله الحارث : لماذا ؟

قال أبو سفيان : لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى .
فخرج محمد عليهم فقال : قد علمت الذى قلتم .
قال عتاب : ماذا قلنا ؟
قال محمد لعتاب :

ــ لقد قلت : لقد أكرم الله أبى أسيدا ألا يكون سمع بلال بن رباح وهو يؤذن فيسمع منه ما يغيظه .

فقال الحارث وعتاب :

ـ نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . فوالله ما أنبأك الا العلى العليم . والحمد لله الذى هدانا الى الاسلام .

فقال رسول الله ﷺ : الحمــد لله الذى هداكما . ما كان مثلكما يجهــل الاسلام .

تقدم عكرمه بن أبى الحكم ميمنة جيش المسلمين وتقدم القعقاع بن عمرو المسيرة وتقدم خالد بن الوليد والزبير بن العوام القلب .

قال خالد :

ـ والذى نفس خالد بيده ليصدقن الله وعده وليعزن جنده .

وعاد الحارث بن هشام الى رحلة دكرياته ...

عقب اسلامه قابل خباب بن الأرت فقال : الحارث سيد قومه . كان يضرب به المثل فى السؤدد والكرم أراد الله له أن يعلوه رماد حياة الجاهلية .. ثم شاء وما شاء فعل .

قال الحارث : شاء الله الخير يا خباب وهو خير الى زيادة ان شاء الله ولكن كم كنت أود ألا تكون هذه الصفحات السوداء فى كتاب حياتى .

قال خباب : لكل منا صفحاته السوداء قبل الاسلام وان اختلفت الأسباب يا أبا عبد الرحمن ومن نعم الله أن الاسلام يجب ما قبله .

قال الحارث : ان ذنوبى كثيرة بحيث تستعصى ...

قال خباب : يا أبا عبد الرحمن لا يأس من رحمة الله . ان الله تواب رحيم . أما سمعت قوله تعالى « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم** » .

قال الحارث : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** »

وسأل الحارث بن هشــام رسول الله ﷺ يوما : يا نبى الله كيف يأتيك الوحى ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : أحيانا يأتيني فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال • وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول •

قال الحارث : يا رسول الله أخبرنى بأمر أعتصم به •

فقال النبى : أمسك عليك هذا •• وأشار الى لسانه •

وشهد مع رسول الله ﷺ الغزوات • ولما لحق الرسول بربه عز شأنه وتولى أبو بكر الصديق الخلافة • أرسل كتابا الى أهل مكة يستنفرهم الى غزو الروم فاستجاب الحارث بن هشام وسارع الى المدينة فتلقاه ورحب به • ولما مضى الصديق الى ربه وجاء عمر بن الخطاب عزم الحارث أن يخرج من بيته مجاهدا فى سبيل الله ولا يعود الى مكة حتى ينال الشهادة • وعلم أهل مكة بنيته الصادقة الجازمة فخرجوا يودعونه وقد حزنوا لفـــراقه • فلما كان بأعلى مكة وقف بينهم وقال : أيها الناس والله ما خرجت رغبة بنفسى عن أنفسكم ولا اختيار بلد على بلدكم ولكن كان هذا الأمر فخرجت رجال والله ما كانوا من ذوى أسنانها ولا فى بيوتاتها • فأصبحنا والله ولو أن جبـــال مكة كانت ذهبا فأنفقناها فى سبيل الله ما أدركنا يوما من أيامهم والله لئن فاتونا فى الدنيـــا لنلتمس أن نشاركهم به فى الآخرة • أما لو أنا نستبدل دارا بدارنا أو جارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ولكنها النقلة الى الله تعالى •

وخرج مجاهدا فى سبيل الله فى سبعين من أهل بيته • وصال وجال •• ولم يرجع من أهل بيته الا أربعة •

لما رأى الروم جيش خالد يتهيأ لقتالهم أرسل تذارق أخو هرقل الى خالد وقال : انا نريد كلام أميركم وملاقاته •

فأرسل خالد أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان والحارث بن هشام وضرار بن الأزور وأبا جنـــدل بن سهيل بن عمرو فدخلوا على تذارق وكان فى ثلاثين رواقا وثلاثين سرادقا فى عسكره كلها من ديباج • فلما انتهوا اليـــه أبوا أن يدخلوا وقالوا : لا نستحل الحرير فابرز الينا •

فخرج تذارق راكبا فرسا وسار فى فرش ممهزة وقال : انا نعرض عليـــكم نصف ما أخرجت الشام ونأخذ نصفا وتقر لنا جبال الشام •

فرفض أبو عبيدة والحارث وأبو جنـــدل ويزيد وضرار الصلح مع الروم . وعادوا الى خالد ...

أشار خالد بيده . فدار القتال رهيبا عنيفا . ولم يسمع الا قعقعة وصليل السيوف وصهيل الخيل وصلصلة السلاسل التى ربطت بها جند الروم .

واندفع الزبير بن العوام نحو تذارق فطعنه بسيفه طعنة قاضية فسقط على الأرض يخبط فى دمه .

وامتلأت ساحة القتال بقتلى الروم وفرسانهم . وأخذ المسلسلون يتقهقرون رعبا فسقطوا فى الخنادق التى حفروها فدقت أعناقهم .

وأصيب الحارث بن هشام بضربة سيف ولكنه ظل يقاتل لينال الشهادة التى خرج اليها أكثر من غزوة .

وتضعضع جيش الروم بعد أن أخذتهم سيوف ونبل المسلمين من كل جانب . وشغل المسلمون بجمع الأسلاب وما خلف الروم فى أرض المعركة .

وحمل المسلمون الحارث بن هشام وعكرمة بن أبى جهل وعياش بن أبى ربيعة جرحى جراحة الموت الى فسطاط خالد بن الوليد .

أحس الحارث بالظمأ فقال : أريد جرعة ماء .

فأقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو بقدح به ماء . ولكن عكرمة نظر اليـــه فقال الحارث : ادفعه الى أبى عمرو .

فلما أخذ عكرمة القدح نظر اليه عياش بن أبى ربيعة فقال عكرمة : اذهب الى عياش .

فما وصل أبو جندل الى عياش حتى مات . فعاد الى عكرمة فوجده قد لحق بالدار الآخرة . ولما تقـــدم نحـــو الحارث بن هشـــام .. كانت روحه ترفرف فى الجنة .